أحمد حسين

رسائل

إلى :

- المسلمين جميعا ..
- الحكام والمحكومين ..
- الجماعات الدينية ..
- العرب والصهاينة ..

دار الشروق

رســـــائل . . .

دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني هاتف ٧٥٤٣١٤ برقيا : شروق القاهرة - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

هــذه الرســائل ....

لم يكن الأستاذ أحمد حسين زعيما سياسيًّا وداعية لوحدة الأمة العربية والإسلامية فحسب ...

ولم يكن مؤسس حركة (مصر الفتاة) سنة ١٩٣٣ ، مجرد قائد وطني يحارب الاستعمار ويرفض كل أنواع الظلم السياسي والاجتماعي ....

إنما ظل دائما المفكر الأصيل والمعلم الذي آمن بدعوته آلاف وآلاف في مصر والبلاد العربية ، أثروا على مجريات الأحداث في هذا الوطن الكبير . طيلة ما يقارب الـ (٤٥) عاماً الماضية ....

وكما كان لمقالاته الصحفية الدور الكبير في التغيرات التي شهدتها مصر ، كان لكتبه التي ألفها ودراساته التي أعدها ونشرها ، الأثر العميق في الحركة الفكرية المصرية والعربية ...

وإذا كان المرض قد أعاقه في السنين الأخيرة عن الاستمرار في موقعه النضالي الشريف ، فإن حكمة الله قد قضت بأن يبقى قادراً على الكتابة والتوجيه والتبشير ببعث الأمة العربية ونهضتها ...

ولقد حرص الأستاذ أحمد حسين على أن يختص جريدة (الشعب) المصرية التى يصدرها زملاؤه وتلاميذه فى الكفاح . بمقالاته ورسائله التى يوجهها إلى المسلمين وإلى الحكام وإلى الشباب والتى يكرر فيها التحذير من مطامع الصهاينة .

ويسعدنا أن نقدم فى هذا الكتيب مجموعة مختارة من مقالات (المعلم) الأستاذ أحمد حسين التى نعلم قدرها فى تنبيه المسلمين وتوعية الشعب بدوره فى البناء والتقدم والتحرير ....

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ...

والله الموفق لما فيه خير الأمة العربية ....

فؤاد نصحى

القاهرة : يناير ١٩٨١

إلى المسـلمين .. فى جميع أنحاء العالم

إلى المسلمين فى مشرق الدنيا ومغربها ، لا إلى الدول فحسب ، من أمثال الدول العربية وتركيا وباكستان وبانجلاديش ، ولا حيث يمثلون الأغلبية فى دول أفريقية أو آسيوية ، ولا حيث هم يجاهدون لإثبات الذات ، فى قبرص أو أريتريا أو الفلبين وغيرها ، أو حيث هم أقلية مسحوقة كزنوج الولايات المتحدة الأمريكية وإنما أوجه حديثى إلى هؤلاء وغيرهم من المسلمين فى كل مكان وركن فى العالمين ..

إلى حيث لا يذكر عددهم لقلتهم ، أو الخوف من بأسهم ، إذا كثروا ، إلى المسلمين فى دول أوروبا بشرقها ، أو غربها ، أو فى جزر الدنيا المتناثرة عبر البحار ، إلى حيث يوجد مسلم واحد.فليست العبرة بالكثرة أو القلة ، «وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» .

وتاريخ الإسلام لم يقم فى يوم من الأيام على الكثرة ، وكل

معارك الإسلام بدءا بمعارك الرسول صلوات الله وسلامه عليه - ومرورًا بأعظم معاركه عبر التاريخ كالقادسية واليرموك ، وانتهاء بحطين وعين جالوت - لم يكن المسلمون هم الأكثر عددًا ، وإنما كانوا كما يجب أن يكونوا دائمًا ، هم الأشد إيمانًا والآخذين بجانب الحق والعدل الإلهيين .

إلى هؤلاء المسلمين - حيثما كانوا وأنى كانوا وكيفما كانوا ، ولقد زعموا أن عدتكم تبلغ ٨٠٠ مليون مسلم ، والله يشهد إنهم لكاذبون - تصورًا منهم أنهم يغضون من شأنكم إذ يقللون من عددكم وإنكم لأكثر من ذلك ، ولكن العبرة ليست بالعدد كما قدمت - فقد فتح المسلمون دنيا عصرهم ، وقوضوا القوتين العظميين «الفرس والروم» وعددهم لا يتجاوز بضعة ألوف - وهذا هو ما يجب أن يتكرر - إلى هؤلاء جميعًا أوجه هذه الرسالة .

* * *

ومن حق من يتلقى الرسالة أن يعلم من صاحبها - فكاتب الرسالة ليس ملكًا ولا هو رئيس أو كبير - أو صاحب مال أو جاه وإنما صاحب هذه الرسالة عجوز «فوق السبعين» مشلول شللاً كاملاً منذ أكثر من عشر سنوات .

ولكنه والحمد لله نشأ من أبوين مسلمين وعاش فى طاعة الله ما وسعه الجهد ، ولم يبرح الإسلام وتعاليم الإسلام خاطره فى يوم من الأيام .

فأنشأ فى صباه ، أى منذ أكثر من ستين عامًا جمعية [نصر الدين الإسلامى] وعندما كبر وشب عن الطوق وكان ممن أخذوا بروعة المدنية الأوروبية ، فنقل عنها الاشتراكية ، وحرص على أن يجعلها اشتراكية إسلامية من الألف إلى الياء حتى رأى نفسه فى غفلة ، وأن الإسلام بمبادئه وتعاليمه ، فى غنى عن كل المسميات وكل النظم وكل التعاليم التى لم ترد فى القرآن ، ومن أجل ذلك فهو يكتب هذه الرسالة ويودعها خلاصة معارفه وتجاربه عبر السنين ، ويعهد بها إلى المسلمين كافة وليبلغ الشاهد الغائب وبهذا يكون الكاتب قد أدى الأمانة فاشهد اللهم .

بعض التعاليم الإسلامية

ولأسق الآن بعض المبادئ والتعاليم التى تعتبر فى الوقت الحاضر ذروة الحضارة الإنسانية وتعمل أمريكا وأوروبا بشرقها وغربها ، للوصول إليها وتحقيقها ولكن دون جدوى ، أقول فلأسق بعض هذه المبادئ ونرى أنها كانت سارية ومطبقة بالفعل لأنها من صميم التعاليم الإسلامية المنصوص عليها فى القرآن الكريم والسنة .

الحرية والإخاء والمساواة :

وهى مبادئ ثلاثة عظيمة ، قيل إنها من صنع الثورة الفرنسية ، ومنها سرت إلى بقية أوروبا وأمريكا. والثورة الفرنسية لم تقم إلا فى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر - حيث نادى بها الإسلام وطبقها بالفعل منذ القرن السادس وإليك النصوص :

● **الحرية :**

لكم دينكم ولى دين ..
لا إكراه فى الدين ..
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

ويقول عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص يؤنبه على بعض تصرفاته ، [يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا] .

فإذا علمت أن الدين فى حياة المسلم هو كل شىء ، وهو حياته كلها أدركت أنه إذ يدع غيره وما يعتقد هو تغليب للحرية الإنسانية ، على الحياة نفسها ، ولن تدرك عظمة هذا المبدأ الذى طبقه الإسلام بالفعل إلا إذا علمت أن فى الاتحاد السوفيتى ، وفيما يدعو له من تعاليم لتطبق فى العالمين ، لا يسمح لمن يدين بغير الشيوعية بالبقاء ، وتعتبر المجتمعات الرأسمالية نفسها فى ذروة الرقى

والتقدم لأنها تسمح [على مضض] بوجود أحزاب شيوعية بين ظهرانيها .

أما أوروبا فى العصور الوسطى ، فلم تكن تسمح بالحياة [الكريمة] لمن لم يكن مسيحيًّا .

● الإخـــاء :

أما ثانى مبدأ قامت عليه الثورة الفرنسية ، وبنت عليه أوروبا حضارتها المزعومة ، فهو [الإخاء] وفى ذلك يقول القرآن الكريم : [إنما المؤمنون إخوة] ، وحيث ظلت كلمة الإخاء الفرنسية مجرد لفظ براق خال من كل مضمون ، فقد كان المجتمع الإسلامى كله ، سواء فى الكل أو التفاصيل يبنى على هذه الأخوة .

● المساواة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [المسلمون سواسية كأسنان المشط] والإسلام كله مبنى على هذه المساواة .

الاشتراكية :

ننتقل الآن إلى نظام حديث زعموا أن العقل الأوروبى قد ابتكره لتحقيق قدر من العدالة الاجتماعية ، ونعنى به [الاشتراكية] حيث النظام أحد أركان الإسلام الخمسة ، وأعنى به الزكاة

ولا يخطئن أحد فيتصور أن الزكاة ، هي الضرائب . فالضرائب تدفع فى مقابل خدمات تؤديها الدولة ، أما الزكاة فهى حق الفقراء فى أموال الأغنياء أى أن أروع ما فى الاشتراكية هو تأمين كافة أفراد المجتمع ضد [العوز والحاجة] وهو أحد أركان الإسلام .

التعاون :

ومن النظم التى ابتكرتها ما أطلق عليه اسم [الحضارة الغربية] نظام التعاون ليعالجوا بعض مفاسد المجتمع فى جنى الأرباح ، وهذا التعاون هو لب المجتمع الإسلامى وجوهره . وهو الذى يحقق كل المبادئ السابقة ويضعها موضع التطبيق ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : [مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى] .

وجاء فى القرآن الكريم [وتعاونوا على البر والتقوى] ومن هنا كان التعاون بأدق معانيه وتفاصيله هو سدى الحياة الإسلامية ولحمتها ، ولا داعى لذكر الأمثلة فالمجتمع كله . كان قائمًا على التعاون .

النظام والنظافة :

وتزعم الحضارة [التى وصفت بأنها غربية] ، أنها تقوم أول

ما تقوم على النظام والنظافة . حيث نرى أنفسنا أولاً وقبل كل شىء على أساسين من أسس العبادة الإسلامية فالصلاة الجماعية لا تكمل إلا إذا سادها النظام فيطلب الإمام دائمًا من المصلين أن يسووا صفوفهم . وفى الصلاة فى الحرمين . المكى والمدنى فى أيام الحج صورة لا مثيل لها فى الدنيا كلها . حيث ينتظم قرابة مليون مصل فى صفوف خلف الإمام .

أما عن النظافة : فشىء بدوره لا مثيل له فى العالم فالصلاة لا تصح إلا بعد غسل [أى استحمام] والمسلم مطالب أن يتوضأ قبل أى صلاة وعددها خمس فى اليوم الواحد .

التمييز العنصرى :

ونصل إلى مشكلة من أعقد مشاكل ما يسمونه بالحضارة الغربية . وهو التمييز العنصرى وهو يسرى مسرى الدم فى هذه الحضارة المزعومة . ويتصور الكثيرون أنها وقف على التمييز بين الألوان . هى عامة وشائعة وتعتبر مثلاً أعلى فى بعض النظم [التقدمية] فالشيوعية على سبيل المثال تعمل على القضاء على من نسميهم [بورجوازيين] وفى عهد الاستعمار كان كل مستعمر يضع نفسه بطبيعة الحال فوق الشعوب التى نكبت باستعماره .. وهكذا .

وما التمييز بين اللون الأبيض والأسود إلا أحد مظاهر هذا التمييز. وقد برئ المجتمع الإسلامى من هذا الرجس فأوامر القرآن الصارمة . ونص كلام الرسول يحرم هذا التمييز لأى سبب من أسباب اللون أو الجنس أو القبيلة وبديلها فى العصر الحديث [الوطنية] يقول الرسول صلوات الله عليه ما معناه [لا فضل لعربى على عجمى أو أبيض على أسود أو أحمر إلا بالتقوى] . والرسول فى ذلك يردد المبدأ القرآنى الذى أوحى إليه [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم] . وكان انعدام التمييز العنصرى بكافة أنواعه وتفريعاته نصًّا وروحًا هو أحد الأسس التى قام عليها المجتمع الإسلامى .

الوحدة الإنسانية :

وأخيرًا انتهت الحضارة الغربية المزعومة إلى فكرة توحيد البشرية . [من الناحية النظرية] فكانت عصبة الأمم وخليفتها هيئة الأمم وكلتاهما نادت بقانون عام يعلو القوانين المحلية . ولا يزال كل ذلك بطبيعة الحال [حبرًا على ورق] حيث المبدأ عنصر أساسى فى الحضارة الإسلامية فالبشر جميعًا أمة واحدة يعلوها قانون السماء . [وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون] . ونستطيع أن

نمضى فى هذا السرد حتى نصل إلى أدق التفاصيل مثل آداب المائدة . والاستئذان وكل صنوف التعامل مما قررته الإنسانية عبر ألوف السنين ، وأصبح يطلق عليه مدنية وحضارة . ونقله الأوربيون عن المسلمين فى العصور الوسطى . فسادوا وعزوا بهذه المبادئ والتعاليم . حتى تفوقوا على المسلمين أنفسهم [الذين كانوا قد تهاونوا فى هذه المبادئ أو نسوها أو جهلوها] واستطاع الأوربيون بفضل ما نقلوه وتعلموه من المسلمين أن يقهروهم عسكريًّا وبالتالى أن يسيطروا عليهم ويحكموهم وراحوا بموجب القاعدة التى تقول : [إن المغلوب يقلد الغالب] ينقلون عن الأوربيين . ماقد سبق أن نقلوه عنهم من نظام ونظافة وعلم .. إلى آخره ولا عيب فى ذلك وإنما العيب فى أن يتصور المسلمون أن الغربيين هم الذين ابتدعوا هذه المبادئ وأن سر تخلف المسلمين هو فى تمسكهم بالإسلام . حيث يشهد الواقع والتاريخ بغير ذلك على ما قدمنا .

كيف ومتى ؟
نقل الأوربيون الحضارة الإسلامية

وقبل أن نمضى قدمًا فى تبيان رسالة المسلمين اليوم فنريد أن نوضح لمن لم يكن يعلم ، متى وأين وكيف نقل الأوربيون الحضارة الإسلامية ..

وبداءة ذى بدء فليعلم من لم يكن يعلم أن ليس هناك سوى حضارة واحدة وأن الزعم بأن هناك حضارة شرقية وأخرى [غربية] هو من تخليطات الأوربيين وما درجوا عليه من تمييز عنصرى - فليس هناك سوى حضارة إنسانية واحدة ، وهى مجموعة قواعد [السمو الإنسانى] ومحاولته العيش على ظهر الأرض فى أحسن وأهنأ حالة ممكنة .

انتهــاء الحضــــارة إلى العالم الإسلامى :

وقد نشأت الحضارة أول ما نشأت فى مصر وانتقلت عنها إلى كل حوض البحر الأبيض كله ، أولاً فى شرقه [أثينا] ثم إلى وسطه [روما] وكان يوجد فى أنحاء أخرى فى الشرق الأوسط بعض مراكز حضارية كأشور وبابل وفارس وغيرها ، وقد انتهى ذلك كله إلى الحضارة الإسلامية بعد أن أضفى القرآن على كل ما كان سليمًا من هذه المبادئ روحًا قدسية تشهد بمصدرها وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا فقد شهد البشر عبر ألف سنة عالمًا إسلاميًّا يغص بأسمى صور الحضارة ، حيث كانت أوربا الحديثة [انجلترا - فرنسا ، ألمانيا ، روسيا] تعيش فيما أسموه بالعصور المظلمة والتى دامت أكثر من خمسمائة سنة ، ويجب أن نقف قليلاً إزاء هذه الحقيقة لنعرف حدود الظلام الذى عاشته أوروبا ومداه ، وكيف

:خلت مرحلة النور تحت وهج الحضارة الإسلامية .

كيفية انتقال الحضارة إلى أوربـــا :

كانت أوربا كلها باستثناء اليونان وروما والشريط من ساحل البحر الأبيض تعيش فى حالة قبلية ، يصفها مؤرخو الغرب بأنها كانت همجية بربرية ، إلى الحد الذى عندما احتلت هذه القبائل الهمجية روما فى العصور الوسطى ، اعتبر ذلك نهاية الحضارة وبدء عصور الظلام واعتنقت القبائل المتبربرة المسيحية . فسرعان ما عكست جوهرها وهو المحبة والرحمة والتسامح إلى صورة وحشية أخذت صورة [محاكم التفتيش] التى كان أسلوبها تعذيب الجسد بأبشع صنوف التعذيب لتطهر الروح ، وكان من بين جرائم هذه المحاكم على سبيل المثال حرق جان دارك حية وعلى هذا الغرار فهمت أوربا من مشرقها [ماعدا حوض البحر الأبيض] لمغربها المسيحية ، [ذروة حضارة الشرق فى ذلك الوقت] فالجهل والقذارة هما قمة التدين ، ولا يدخل الجنة إلا من أذنت له الكنيسة ، ولما كان بابا روما هو رأس الكنيسة فأصبح يصدر قرار [الحرمان] على دول بأكملها ، فيستحيل عليها أن تدخل الجنة . بينما يستطيع هو أن يدخل الجنة من يشاء عن طريق صكوك الغفران

ويطول بنا المقام لو رحنا نتحدث عن أوربا فى العصور الوسطى وحسبنا أن الأوربيين أنفسهم هم الذين أطلقوا عليها اسم عصور الظلام .

الحرب الصليبية :

وقررت أوربا [المظلمة] أن تقضى على الإسلام والمسلمين فأرسلت انجلترا وفرنسا وألمانيا جيوشها إلى فلسطين لتخليص بيت المقدس من الكفرة المسلمين وعندما استولت هذه القوة الطاغية على بيت المقدس ، وأجروا خيولهم فى بحار من دماء المسلمين واليهود . واسترد صلاح الدين بيت المقدس بعد هزيمة الصليبيين فى موقعة [حطين] وتصرف وفق التعاليم الإسلامية من رحمة وتسامح وبعد عن الانتقام .

فانبهرت أوربا بالحضارة الإسلامية فراحت تنقلها فنقلت النظافة والعلم والأخلاق الرحيمة وكان أن بدأت أوربا رحلتها فى سبيل التقدم والتحضر مبتدئة بما سمى بحركة [الإصلاح الدينى] واكتشفت أمريكا فى محاولتها تفادى الوصول إلى الهند عن غير طريق المسلمين ومن جديد راحوا فى أمريكا يطبقون أساليبهم الوحشية والبربرية فى إبادة الهنود الحمر .

والخلاصة : أن أوربا لم تعرف الحضارة إلا عن طريقين :

الأول : نقلها مباشرة عن طريق الأندلس [أسبانيا] .

الثانى : كثمرة من ثمار الاحتكاك فى الحروب الصليبية .

الأمـور التى زادتهـا أوروبا على ما نقلته :

أما بالنسبة للمبادئ الرئيسية للحضارة فلم ترد إلا فكرة واحدة وهى فكرة [الحكم عن طريق الأغلبية العددية] ، وسنرى فساد هذا النظام من وجهة النظر الإسلامى .

فنى الرسم والنحت :

وتفوق الأوربيون فى فنى الرسم والنحت ، ذلك أن الإسلام وهو أعدى أعداء الوثنية حرم هذين الفنين ليتفادى صنع الأصنام والتماثيل ، ولذلك فقد انصرف الفنان المسلم إلى نوع من النقوش يزخرف بها منشآته وهو نوع من التجريد الذى انتهى الفنان المعاصر إليه ، وقد طوفت أوربا وأمريكا ، فكانت هذه الرسوم الضخمة على الجدران أو اللوحات والتماثيل المختلفة دينية أو غير دينية تمثل عنصرًا تجاهلته الحضارة الإسلامية ، وقد تصور المسلمون [خطأ] ، أن ذلك هو عنوان الرقى فحاولوا اللحاق بأوربا فى هذا المضمار واندفعوا فى جهالتهم يقلدون [الموسيقى] مع أنهم فى هذا المضمار يتفوقون على الأوربيين فحيث تعرف موسيقاهم النغمة

ونصف النغمة وربع النغمة ، فلا تعرف الموسيقى الأوربية سوى نصف النغمة واعتبر ذلك هو التقدم .

تطوير الآلات :

أما الشيء الثانى ، فهو تطوير ما نقلوه من آلات ، حيث توقف المسلمون فتصور الأوربيون أنهم وحدهم القادرون على الابتكار والاختراع ، وكانت المصيبة عندما صدقهم المسلمون ، مع أن الممارس لأى عمل من الأعمال لا يلبث أن يضيف إليه أو أن ينقص ما لا يرى ضرورة له وهكذا .

وهذا التطور فى صناعة الآلات هو ما يسمى فى عصرنا الحديث [بالتكنولوجيا] ولا علاقة له بالمدنية والحضارة التى هى أسس وقواعد هدفها الأول والأخير هو التكافل بين البشر والعيش فى أخوة وسلام ورحمة .

قرنان من الزمان فقط :

ولما كان الأوربيون برابرة وهمجًا بطبيعتهم ، فإن الحضارة لم تستقر عندهم أكثر من قرنين [١٨ ، ١٩] ولم يكد القرن العشرون يستهل حتى أشعل الأوربيون فيما بينهم حربًا وحشية لم تعرف الدنيا لها مثيلاً من قبل فى وحشيتها وتوقفت لعشرين سنة فقط لتعود أشد ضراوة ووحشية .

وانسلخت أوربا وأمريكا من الحضارة جملة فلا دين أو أخلاق وإنما صراع ووحشية ، يفوز فيه دائمًا الأكثر مالاً والأكثر ازدراء للقوانين والقيم الحضارية وحسبنا أن نشير إلى آخر صنوف التجارة فى أمريكا وهو الاتجار فى قطع الغيار البشرية فيقتل الناس [بطريقة علمية] فى أحد المستشفيات . ليقطع الجسد بعد موته إلى قطع غيار تباع فى السوق . ويشيع الأمر إلى جعله [فيلمًا سينمائيًا] يعرض فى دور السينما .

ولقد انتهت أوربا بشرقها وغربها كما انتهت أمريكا كقوة حضارية . وليس سوى متعلمى ومثقفى المسلمين من لا يزالون ينظرون إلى أوربا وأمريكا باعتبارهما مصدرًا للحضارة والحضارة منهما براء ومن هنا يجىء واجب المسلمين فى بعث الحضارة الإنسانية بكل قيمها ومبادئها الموروثة .

القضاء على الربا :

ولست أريد أن أقف طويلاً أمام الأفكار الزائفة التى أضافتها أوربا إلى دنيا الفكر من أن أصل الإنسان قرد[داروين] أو أن الجنس هو محور حياة الإنسان [فرويد] أو أن لا وجود لله [ماركس] .

ولكنى أقف أمام النظام الاقتصادى حيث عمل اليهود [وهم قلة مسحوقة] على السيطرة على أوربا وأمريكا عن طريق إدخال [الربا] على المعاملات واعتباره أساس الحياة الاقتصادية . وقد برئت الحضارة الإسلامية من هذه اللعنة . إن أعظم ما قام به المسلمون فى الوقت الحاضر هو إنشاء مؤسسات لا تعمل بالربا إن سلطان اليهود الذى يجعلهم يفكرون فى السيطرة على العالم بدأ باحتلال فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل هو نظام الربا بحيث أصبحوا يسيطرون على البنوك وتسيطر البنوك على سائر مناشط الاقتصاد . كما هو الحال فى أمريكا .

النظام الديمقراطى :

وثمة نظام كاذب تحمل لواءه أوربا بشرقها وغربها فضلاً عن أمريكا وذلك هو ما يسمى [بالنظام الديمقراطى] وهو حكم الأكثرية العددية للسكان وهو نظام فاسد من أساسه .

يقول تعالى فى محكم تنزيله : [وإن تطع أكثر من الأرض يضلوك] وليس أدل على كذب الادعاء بحكم الأكثرية أن انجلترا [٤٠ مليونًا] حكمت أيام الاستعمار شعوبًا مؤلفة من ألف مليون وكذلك فرنسا . وكل دولة تزعم أنها تؤمن بالديمقراطية [أمريكا فى فيتنام واليوم روسيا فى أفغانستان] . فالتشدق بحكم الأغلبية

والنزول عند رأى الإرادة الشعبية هو محض هراء تتشدق به قلة عددية لتسود به أغلبية عددية .

الشورى أساس الحكم الإسلامى :

ومن هنا كان نظام الشورى الإسلامى هو النظام الأمثل والأكمل ..

فلينهض المسلمون .. مؤمنين أن دينهم هو الدين ، وأن حضارتهم هى الحضارة ، وأن ما يجدونه من أنظمة غربية الأصول فهى بضاعتهم ردت إليهم .

وعليهم أولاً وقبل كل شىء أن لا يقلدوا الغرب فى عبادة المال والعمل بكل الوسائل لجمع أكبر قدر منه فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . وأن الآخرة خير وأبقى وأن السعادة كل السعادة فى هذه الدنيا يكون بالرضا والقناعة ومن تحلى بهاتين الصفتين يعش طول عمره [أمينًا] لا يكذب ولا يغش أو يخادع فضلاً عن أن يسرق أو ينهب ويعش رحيمًا عطوفًا ناظرًا إلى أى إنسان على أنه أخوه .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

إلى الجماعات الدينية .. وإلى الأئمة والوعاظ

ها أنذا بعون من الله وفضل أعود فأمسك بالقلم ، وما دام الله يمد لى فى الأجل ويحفظ علىّ عقلى ، فأنا أعتبر ذلك تكليفا من الله عز وجل لما أعتبره واجبا فى عنقى ، وما أشعر به الآن ، هو حديث أرى أن أتوجه به للجماعات الدينية من الشباب ولهذا النفر من الأئمة والوعاظ الذين أصبحوا يؤثرون على العديد من عشرات الألوف من المسلمين .

مسلمات حسابية

وأول ما أريد تقريره باعتباره من المسلمات الحسابية ، هو أن الدنيا تشهد يقظة إسلامية بعامة وفى مصر بخاصة ، يدل على ذلك علو شأن الجماعات الإسلامية فى الجامعات وخارجها ، وهى التى كانت منذ سنوات مرتعا خصبا للجماعات الشيوعية .

وأصبح يقال اليوم إن الشيوعيين قد لبسوا مسوح الدين وانضموا أو بالأحرى اندسوا بين صفوف المتدينين ليزيدوا النار اشتعالا وليؤججوا الفتنة .

وسواء صح هذا الكلام أو لم يصح فسوف نرى أن ذلك ما تقطع به عمليات الحساب .

إن العالم الإسلامى قد أصبح فى حالة يقظة وتنبه لما يدور حوله مما جعله يفقد الثقة فيما يطلق عليه الحضارة الحديثة ، ويتوق إلى حضارته الإسلامية وما تنطوى عليه من أخلاق وقيم وفضائل تنبع كلها من الإيمان بالروحانيات والغيب .

أما لماذا فقد العالم الإسلامى ثقته بالحضارة الأوربية (العصرية) بجناحيها الشرقى (روسيا) والغربى (أمريكا) فذلك لأنه رأى هذه الشعوب وقد ازدادت شقاء وآلاما وتكالبت عليها كل صنوف المحن والأرزاء يشهد بهذا ازدياد عدد المنتحرين ، والمجانين والمجرمين والمرضى ، وأما الأغلبية الكاسحة فقد أصبح محور حياتها زيادة قطعة من اللحم تأكلها .

عرف المسلمون ذلك كله ، وأدركوا أن هذه لا يمكن أن تكون هى حقيقة الحضارة فعادوا إلى تعاليم دينهم ـ فوجدوه يقدم كل الحلول لمشكلات العصر ، فى غير مبالغة أو مغالاة ، وإنما فى حلول

وسط لكل قضية تعين الإنسان لاجتياز مرحلة الحياة ، بأكبر نصيب من الرضا والاطمئنان وليس هنا مجال البحث عن أسباب يقظة المسلمين ، والمهم أنهم فى يقظة اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء وكان آخرها هذا الذى وقع فى إيران .

كل فعـل له رد فعـل
فى الاتجـاه المضـاد

ومن سنن الطبيعة التى لن تجد لها تبديلا ، أن لا شىء يقع فى فراغ أبدا ومن هنا فإن كل فعل لابد أن يكون له رد فعل فى الاتجاه المضاد .

وارتفعت أصوات أعداء الإسلام على الفور ، بعضها صريح ، وبعضها أقل صراحة ، ولكنها جميعا وبغير استثناء تحذر من مخاطر اليقظة الإسلامية .

والحديث عندهم سهل وهين وما عليهم إلا أن يتحدثوا عن رجعية الإسلام ووحشية الإسلام وقوة الإسلام إلى غير ذلك من ضروب الجهل بالإسلام والتعصب الذى ورثوه منذ أقدم العصور .

ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن كل ذلك عبث ووهم لا يفيدان فى إيقاف موجة البعث الإسلامى فقد وجدوا أن القائمين بهذه

الحركة هم خريجو معاهدهم . ومن وصلوا إلى أعظم المناصب بين ظهرانيهم (فاروق الباز على سبيل المثال) .

فأصبحت مهاجمة الإسلام مباشرة . ووصفه بالرجعية والتخلف . مسألة لا تجدى ، فأصبح لا مناص من البحث عن وسائل أخرى ، ولم تتردد الصهيونية فى تقديم البديل الذى تزاوله على مر العصور وهو إثارة الفتنة من داخل صفوف المسلمين . وجعلهم يحارب بعضهم البعض ، فيؤدى ذلك إلى نتيجتين متحققتين .

الأولى إضعاف المسلمين . بضرب بعضهم ببعض . والثانية إتاحة الفرصة لغير المسلمين . ليتحدثوا عن التعصب وعن . وعن .. إلى آخر ذلك .

خـذوا حذركـم

ومن هنا كان على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر . ويسعى لإيقاظ المسلمين ، أن يتنبه لما يحيكه أعداء الإسلام ، وأن يكون على ثقة أنهم لن يدعوا المسلمين وشأنهم . حتى يقودوا وينهضوا . بل لابد أن يعملوا على إجهاض هذه النهضة وهى فى المهد ، ولما كان الغرب (أمريكا وأوربا بشرقها وغربها) هم الذين يملكون أسباب القوة ، وأجهزة النشر والإعلام فما على هذه الأجهزة كلها

إلا أن تتضافر لتحقيق هذا الغرض . وهو ما يجرى الآن بالفعل . وما يجب الحذر منه

فليسمع الأئمة والوعاظ وشباب الجماعات الدينية

فليس يكفى أن يكون الأمر أمر تحدث بالدين .. أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر لكى يطلق كل متحدث لنفسه العنان يكفر من يشاء ويجرح من يشاء ، ويدخل النار من يشاء تصورا منه أنه يحسن صنعا وأنه يعمل فى نطاق الدين بحيث تحول الدين من أداة لتربية النفوس وتزكيتها ، إلى أداة لإثارة الفتن ، وإيقاع الفرقة بين الناس ، واللطيف أن ذلك كله يمارس باسم الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث الذى يفعلونه هو عين المنكر بذاته ، وأى منكر أشد من تحقيقُ خطط أعداء الإسلام بإيقاع الفرقة فى صفوف المجتمع الإسلامى .

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم

إن القرآن الكريم ، مليء بالآيات التى تصلح لكل زمان ومكان ، وكلها آيات عاملة ، والحكمة المفروضة على كل مسلم يريد

أن يتصدى للأمر بالمعروف «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة» توجب عليه أن يقف طويلا أمام بعض آيات القرآن الكريم ، ليصدع بها ولا يتجاوزها إلى غيرها ، ليحقق للإسلام أكبر قدر من النفع فى فترة من الفترات .

وفى أيامنا الحاضرة حيث لاتزال اليقظة الإسلامية فى بدايتها ، ولايزال أعداء الإسلام ممسكين بكل أسباب القوة (حتى داخل صفوف المسلمين) فأحوج ما يحتاجه المسلمون فى هذه المرحلة هو تربية نفوسهم وتزكيتها وتطهيرها بحيث تصبح قدوة صالحة ، تحبب الناس فى الإسلام والمسلمين .

وأنا بعون الله وبفضل منه ، عندما أدعو الشباب والأئمة والوعاظ ، أن يكرسوا جهودهم لتربية أنفسهم أولا وقبل كل شىء ، تاركين خلق الله للخالق ، فأنا أصدع فى هذا بآية قرآنية وردت فى أخريات سورة المائدة (١٠٥) ومن المتفق عليه أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ، حيث تقول هذه الآية :

«يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكُم من ضلّ إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون» .

وأنا إذا كنت أوجه هذا الحديث إلى شباب مصر وأئمتها ووعاظها بعامة ، فأنا أوجهه للمنتمين لحزب العمل بخاصة فهم

ورثة حركة مصر الفتاة ، أو هم امتداد لها ، وقد كانت مصر الفتاة هى أول من دعا فى الثلاثينات من هذا القرن إلى اعتبار الجهاد الوطنى من أجل مصر هو جزء لا يتجزأ من جهادنا الدينى فى سبيل بعث الإسلام ويقظته وجعلت أول كلمة فى شعارنا « الله » إيمانا منا بأن من لا خير فيه لربه ، فلا خير فيه لوطنه أو الناس .

وقد بدا هذا الكلام فى ذلك الوقت غريبا ، بل و« شاذا » إلى الحد الذى جعل زعيم ذلك الزمان « وكان رجلاً متدينا » يقول لى إن وضع كلمة (الله) فى برنامج سياسى هو « شعوذة » .

الوحدة الوطنية :

وأبناء مصر الفتاة مع إيمانهم الكبير بزعامة مصر للإسلام ودورها فى بعثه وسيادته ، فإن إيمانهم بوحدة الشعب مسلمين وأقباطا يعلو كل أمر آخر ، ويرون ، أن المادية والإلحاد والعلمانية (إلى آخر ما أدخله الإنجليز إلى مصر) هو الذى يفرق بين المصريين ، حيث تجمعهم التقوى ، كل فى دينه ، ومن هنا كان أحد مبادئ مصر الفتاة الأساسية : « صل لربك ، وأمّ المسجد يوم الجمعة إن كنت مسلما ، والكنيسة يوم الأحد إن كنت مسيحيا ، ويوم السبت إن كنت يهوديا » . ذلك أن مصر كانت ،

وكان إيمانها بالله واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار . قبل كل الأديان التي خرجت كلها من مصر . أو كانت ذات صلة وثيقة بها .

ومحاربة .. البغاء والخمر

ورفعت مصر الفتاة لواء محاربة المنكرات وعلى رأسها « البغاء الرسمى » والخمارات . وقدمت مصر الفتاة فى هذا السبيل شهداء (عبد اللطيف ،عبد الغنى وحسين جريو) ودعت مصر الفتاة إلى الحكم بالشريعة الإسلامية . واعتبر ذلك محاولة لقلب نظام الحكم .

فإذا كانت اليقظة الدينية قد أصبحت تغمر مصر فإن ذلك يجب أن يتم ويتحقق فى نطاق المبادئ الأساسية الآتية . ومن يقول بغيرها . فضلا عن أن يعمل على تحقيق أهداف أعداء الإسلام بسوء نية أو بحسن نية والنتيجة واحدة فى كلتا الحالتين : وهى الإضرار بمسيرة الإسلام .

المبدأ الأول :

علو الصلات الطيبة بين المسلمين والأقباط على كل قول أو

دعوة تعكر هذه الصلات . شريطة ألاّ يعني ذلك دعوة أى من الطرفين التخلى عن دينه .

المبدأ الثانى :

إنكار استعمال العنف تحت أى اسم من الأسماء . واعتبار الداعى لاستعماله (إلا فى حدود القانون) مجرما ينبغى محاربته وتسليمه للعدالة لتقتص منه باعتباره عدوا للمجتمع فى الدرجة الأولى .

المبدأ الثالث :

يقول الإنجيل « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس » ولا يتصورَنَّ متصور . شابا كان أو شيخا . أن الأمر فى الإسلام يختلف عن ذلك . فالأمر الأول الواجب على كل مسلم أن يصلح من شأن نفسه ، وأن يهديها ويطهرها ويزكيها قبل أن يمتلئ غرورا ويعتبر نفسه كاملا ويتصدى لهداية الناس ولا يتصورَنَّ متصور ، أنه لمجرد أن يطيل لحيته ، وأن يؤدى الصلاة أنه أصبح من حقه أن يندد بالآخرين وعلى رأس الكل « أبويه » فطاعة الوالدين ، والإحسان إليهما ، يلى الإيمان بالله على الفور ، وكلاهما وثيق الصلة بالآخر . فليس مسلما من أساء إلى والديه وإن صلى وصام وحج ، وملأ الدنيا صراخا بالوعظ والإرشاد واقرأوا قوله

تعالى : « واعبدا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » (النساء ٣٦) . « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » (الأنعام ١٥١) .

ويصل القرآن الذى قرن دائما بين الشرك بالله ، وعدم الإحسان إلى الوالدين ، إلى حد التحذير من مجرد إظهار التأفف .

فلا يتصورَنَّ نفسه مسلما من يغضب والديه لأى سبب من الأسباب مهما تذرع بالحجج والأعذار .

وبعد

فليذكر كل من يفتح فمه بالدين أيا كان موقعه وسنه وتصوره فى نفسه ، أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، وأن الفتنة أشد من القتل ، ومجرد أن تدفع أثنين للتشابك بالأيدى هو فتنة .

فليحذر ، فليحذر أى داعية أن يكون سببا فى إحداث فتنة .

ما أشبه اليوم بالبارحة

وما أحوج مصر إلى شاب .. يجمع أفرادًا من الشباب ليكونوا قادة المستقبل

عندما قمنا منذ خمسين سنة .. كانت مصر هى كمصر اليوم .. ولسنا نعنى أنها كمصر اليوم من حيث « القذارة » .. فقد كانت نظيفة ، يكنسها الكناسون مرتين فى اليوم ، ويطوف عليهم مفتشون بالدراجات ، ليتأكدوا من نظافة الشوارع والحوارى .. وكانت عربات الرش ، ثم سيارات ترش القاهرة كلها ، وكان صاحب كل متجر يكنس ما أمامه وما حوله ..

وعندما نقول إن مصر منذ خمسين سنة كانت كمصر اليوم ، فلسنا نعنى ذلك أزمات الازدحام والمرور والتليفونات والشوارع والإسكان ، ناهيك بالغلاء فقد كان القرش أى العشرة مليمات ، تساوى جنيها من جنيهات أيامنا الحاضرة .

وأنا نفسى عندما تزوجت عام ١٩٣٨ وأصبح لى بيت مستقل كانت نفقات بيتنا الجديدة اليومية هى « خمسة قروش » ومع ذلك

فقد كنت أخجل أمام زميلى الشهيد الدكتور مصطفى الوكيل أننى كنت أعيش بكل هذا البذخ ، ولا تدهش من هذا أو تظن أننى كنت أعيش فى تقشف ، فقد كنا نبتاع خبزنا بعشرة مليمات (أى قرش) وكنا نبتاع ما يكفينا من الملوخية بمليم أما اللحم (ثلث كيلو) فقد كان بعشرين مليما «أى قرشين» وهكذا كانت القروش الخمسة تزيد عن خمسة جنيهات اليوم ، فضلا عن أن كل شيء كان معروضًا ومبذولا ابتداء من المسكن حتى الطعام والملبس كان الأتوبيس أنظف وأفخم من السيارات الخاصة ، ولكى تحصل على التليفون أو الكهرباء تأتيك فى أربع وعشرين ساعة مع خالص الشكر لك أنك طلبت تليفونا أو تيارا كهربائيا .

كانت الحدائق العامة متعة العين والفؤاد وكانت بعض الشوارع تخطف عقلك بأشجارها التى أزهرت بورود حمراء تجعل قمة الشارع كأنه شعلة نار ، وكانت الموسيقات العسكرية تعزف فى الحدائق والميادين العامة .

كانت غالبية الناس تعيش فى رضا وقناعة واستقرار ، ولم يكونوا يلهثون وراء المال بأى ثمن .

لا لم تكن مصر من هذه النواحى كمصر اليوم ، ولكنى لن أعقد المقارنة فى هذه النواحى ، حتى لا يتحدث لى المتحدثون عن

«الرخاء» الذى نعيش فيه ، وعن القاعدة العريضة من الشعب وعن النمط الاستهلاكى ، وعن اجتياز عنق الزجاجة ، وعن الأمن والأمان ... إلى آخر هذه العبارات الطنانة الرنانة التى برع فيها لا الإعلام المصرى فحسب بل الإعلام العربى كله . فما من إذاعة فى أى قطر عربى ، إلا وصورت هذا القطر باعتباره محور الكون وصانع التاريخ وفوق الجميع ....

لا . لن أتحدث عن الأحوال السائدة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، وحسبى أن أقول كلمة واحدة . فكثيرا ما يأتينى من يزور أوربا وأمريكا . فيعود منها مبهورًا لرؤيته هذا الشىء أو ذلك مما كان موجودا فى مصر من خمسين سنة . فأصبح يتحدث عنه اليوم كرابع المستحيلات . ولذلك سوف أقصر حديثى على الاتجاهات فى السياسة العامة التى هى من صنع الحكام .

نحن والسودان

ولدنا ونشأنا وتعلمنا وعلمنا . أن مصر هى النيل شماله وجنوبه ، وأن لا حياة طيبة لمصر بغير السودان ولاحياة للسودان بغير مصر . هكذا كان الوضع منذ خلق الله الدنيا . كان الوضع منذ الفراعنة والعرب والدول الإسلامية ، تمتد حدود مصر حيث يظن أن النيل ينبع من هذا المكان . وكانت حدود مصر تمتد جنوبا مع

استمرار اكتشاف امتداد النيل . فكانت عند أسوان . ثم شملت كل بلاد النوبة وعلى أيام محمد على وصلت إلى الخرطوم ومن هنا أقولها ثانية إننا ولدنا ونشأنا وتعلمنا . أن مصر هى السودان وأن السودان هى مصر . ولما حاول الاستعمار أن يبرم معاهدة مع وزير مصرى لفصل السودان عن مصر. أغتيل هذا الوزير فى وضح النهار . وعندما قامت ثورة ١٩١٩ كانت من أجل وحدة وادى النيل . وقطع سعد زغلول المفاوضات بين مصر وبريطانيا عام ١٩٢٤ وكان تعليقه الوحيد :

«دعينا للانتجار فأبينا أن ننتحر» ولم يكن الانتحار إلا أن الانجليز أرادوا فصل السودان . وقال خليفته مصطفى النحاس عقب مفاوضات أخرى فاشلة : «تقطع يدى ولاتقطع السودان عن مصر» .

فبلورت مصر الفتاة عندما تأسس هذا المبدأ فى مبادئها العشر فقالت :

«بلادك هى مصر والسودان لا ينفصلان ولايتجزآن» .

وتكريسا لذلك كنت وأخى زعيم السودان «إسماعيل الأزهرى» زميلا جهاد ، وكانت دار مصر الفتاة هى دار الأحرار من السوانيين ، وإن أنس فلست أنسى عندما عدت من أمريكا ، فوقفت أنا وإسماعيل الأزهرى وسط سيارة مكشوفة ، شبه

متعانقين . فيصفق لنا الجمهور المحتشد على الجانبين لهذا الرمز على الاتحاد بين مصر والسودان .

وعندما أصبح إسماعيل الأزهرى رئيسا لوزراء السودان عام ١٩٥٥ استضافنى فى السودان . ليذكر مواطنيه بضرورة الوحدة مع مصر . وتجولت فى السودان حتى جنوبه كما لو كنت أتجول فى قنا وأسوان . وعن هذه الجولة كتبت كتابى « من وحى الجنوب » أى لم أقل السودان أو جنوب السودان . فالأمر كله بالنسبة لى هو وطن واحد هو حوض النيل . تؤلف مصر شماله والسودان جنوبه .

واليوم وكل من فى مصر « تقريبا » يجهل علاقتنا بالسودان تسود السودان مجاعة ، وتسود مصر مجاعة « ولولا رحمة أمريكا والدول الغربية » ونتحدث عن زرع الصحراء . وهو كلام إلى الغثيان أقرب . فكل المساحات التى يرجون أو بالأخرى يحلمون بزراعتها . كانت فى قديم الزمان مزروعة . وكانت مصر هى تطعم العالم الرومانى بقمحها ، والقرآن يحدثنا كيف أن الأمم والشعوب كانت تحصل على قمحها من مصر « قصة يوسف » فإذا رأينا مصر اليوم تستجدى غذاءها من أوربا وأمريكا . وإذا رأينا السودان حيث يوجد مئتا مليون فدان قابلة للزراعة مع توفر الماء . يعانى هو بدوره من المجاعة . فمن حقنا أن نقول إن ذلك قد حدث ويحدث وسيظل يتفاقم . لخروج سياستنا عن خطها الطبيعى منذ كانت مصر وهو .

وحـدة وادى النيـل
والبلاد العربية والإسلامية وإسرائيل

وعندما قمنا منذ خمسين سنة ، كانت مصر كما كانت دائما قلب العالم الإسلامى الخفاق ، ومع ذلك فقد كانت حكومة مصر « الانجليزية » تتحدى الإسلام علانية فتعطى الرخص لمزاولة البغاء الرسمى وفتح الخمارات ليس فقط فى الأحياء الوطنية ، بل وأمام المدارس والمساجد ، فكتبنا مبدأنا تطهر وقاطع دور الخمر واللهو وكانت البلاد العربية قد مزقت وقسمت ووضعت جميعها تحت الاستعمار فجعلنا غايتنا وغايتك أن تصبح مصر دولة عظيمة تحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام .

أى أن عظمة مصر منذ كان الإسلام ، مرتبطة بتعاونها الوثيق بالدول العربية ، وزعامة الإسلام .

فما الذى أصبحنا نعيش فيه اليوم بعد خمسين سنة ، لقد كافحنا وسقط منا الشهداء حتى زالت عن مصر سبة « البغاء الرسمى » وحتى أغلقت « الخمارات » فى الأحياء الوطنية ، ولكنا نرى الحكومة تتحدى من جديد نصوص القرآن ونواهيه وتصادم المشاعر الإسلامية والعربية ، وتطرب لتصفيق أعداء العرب والإسلام وهم

الصهيونية والصليبية ، وتستهين بما يشبه طرد مصر من المجتمع الإسلامى ، وكل مسلم يؤمن بالقرآن الذى أنزل على سيدنا محمد لا يمكن أن يرى فيما يجرى فى مصر الآن ، إلا التحدى لأوامر القرآن إذ يقول :

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وهذا الذى ينهى عنه القرآن هو التخصيص بعد التعميم فقد دعا فى آيات أخرى لعدم موالاة اليهود لئلا يردوا المؤمنين كفارًا « أحيانا » .

ولقد قاتلنا الصهيونيون وأخرجونا من ديارنا ولايزالون ، فأمة الإسلام واحدة ، والقول بأن أي قطر إسلامى لاينظر إلا لمصلحته وهو قول من خلق الاستعمار والصهيونية ليبقى العالم الإسلامى ممزقا ضعيفا ، ليكون من السهل افتراسه ، وقد آمن الشعب المصرى بهذه الحقيقة وعاش لها وبها .

والمهم أن اليوم يشبه البارحة من سيادة التعاليم الاستعمارية والصهيونية وتحدى التعاليم الإسلامية بالعمل على ماينافضها ، فنوالى من قاتلونا وأخرجونا من ديارنا ويعملون على تدمير المسجد

الأقصى ليعبدوا هيكل سليمان . ثم نوالى من يفعل ذلك بحجة الإسلام ، ألا سحقا لهذا السلام الذى يكون على حساب الإسلام وتعاليم القرآن .

الأجـانب .. والديـون

وكانت صيحتنا منذ خمسين عاما

« احتقر كل ما هو أجنبى »

وبدأنا مبادئنا بقول :

« لا تتكلم إلا بالعربية ولاترد على من لا يخاطبك بها » .

وفى الناحية الاقتصادية قلنا :

« لاتشتر إلا من مصرى ولا تأكل إلا طعاما مصريا فإن لم تجد فعربيا فإسلاميا » .

واليوم ماذا نرى ، لقد فقدت مصر استقلالها من أجل دَين لا يزيد عن مائة مليون ، وعشنا نلعن الخديو سعيد وإسماعيل لفتحهما باب الاستدانة ولم يشفع للأول أنه أنشأ قناة السويس « التى تمدنا اليوم بأسباب الحياة » ولم يشفع لإسماعيل أنه أضاف لمصر مليونين من الأفدنة ، وأنشأ مئات المؤسسات « التى عندما فقدت واحدة منها لم نستطع أن نعوضها حتى اليوم وهى دار الأوبرا » .

لم يشفع شيء من ذلك لأن الرجلين استدانا مائة مليون لإقامة هذه المشروعات . واليوم إلى أين وصلنا : لقد وصلنا إلى حد أننا أصبحنا نأكل بالدين وبلغت ديوننا ألوف الملايين من الجنيهات وأصبحنا نفخر بأن أبواب الاستدانة مفتوحة أمامنا على مصاريعها . ونفرح بأننا لن نسدد الدين إلا بعد عشر سنوات . ترى ألم يتوقف الذين يقترضون الوف الملايين أمام ما سوف تقوله الأجيال القادمة عندما ترزح تحت وطأة هذه الديون .

وفى الوقت الذى اعتمدت فيه اللغة العربية كلغة دولية ترى لأول مرة صحفنا المصرية طافحة بإعلانات اللغة الإنجليزية . وأصبح المصرى لا يتغنى إلا بما هو مستورد ويفخر بأنه لايلبس إلا ما هو مستورد .

وأصبح التغنى بعظمة الغرب وتقدم الغرب ونظم الغرب وتكنولوجيا الغرب هو ما يلهج بذكره كبار المصريين رافعين عقيرتهم قبل ذلك وبعد ذلك بحضارة مصر منذ سبعة آلاف سنة . إن ترجمة ذلك لا تكون إلا كما قلنا من خمسين سنة :

« احتقر كل ما هو أجنبى »

فما أشبه اليوم بالبارحة

أى أن كل الظروف التى استوجبت إنشاء مصر الفتاة تستوجب من جديد المناداة بها .

وإن قادة حزب العمل ، الذين أصبحوا ذخيرة مصر وعدتها ، والديدبان الحارس ، على قيمها وأهدافها قد أصبحوا شيوخا ، وسوف نذهب ويذهبون جميعا طبقا لناموس الحياة فلا مناص من جيل جديد يحمل الأمانة لا بالشقشقة والقول بأنه ليس ...فى الإمكان أبدع مما كان ، وأنه ليس أمامنا إلا أن نجود ونحسن ما نحن فيه ، إن ما نحن فيه على ما قدمت سابقا ، هو «التوهان» والضياع هو الإفلاس الروحى والخلقى والعيش يوما بيوم وفقدان الهدف .

فلا مناص من قيام شباب يبنون أنفسهم على ما بنى عليه نفسه قادة حزب العمل ، على المبادئ الخلقية والوطنية والدينية ، وقد تلخص ذلك كله فى :

المبادئ العشرة

فليقم شباب يعتنق هذه المبادئ ويلتزمها ثم ينقلها إلى غيره ، إن الكثرة لا تهم ، وإنما الذى يهم هو الإيمان والعمل بما يؤمن به الإنسان ، وحمل أخر أو آخرين على اعتناق ما اعتنق .

إن شعلة مصر الفتاة يجب أن تنتقل من جيل إلى جيل ، ولقد قال مصطفى كامل « أريد أن أوقظ فى مصر الهرمة مصر الفتاة » ولقد كنت ومعى قادة حزب العمل اليوم ، من حملنا مشعل مصر الفتاة ، وقد آن الأوان ليحمل المشعل جيل جديد ، لا يحتج بالإمكانيات لا يحتج بضيق ذات اليد ، لايحتج بأن أحدا لا يستجيب ، وإنما عليه أن يبدأ بنفسه ليكون قدوة .

وأقول ثانية لا تهم الكثرة ، ولا تهم السرعة ، فالمطلوب هو إعداد أفراد من الجيل يكون الهدف والأسلوب واضحين أمامهم .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

إلى جيل الحكام

هذه مقالات أكتبها لإبراء الذمة . فأنا إنسان لم يعد يقدر على شيء سوى الكتابة . إنني لا أتحرك (باستثناء يدى اليمنى) إن سمعى أصبح ثقيلا . وبصرى معتلاً . ولست أعرف إلى كم من الزمن . سأظل حيًّا . وإلى كم من الزمن سيبقى لدىّ اللهُ هذه القوة على الحياة . فقد جاوزت السبعين . والعلل التى أصابت مخى . تهددنى من جديد ولكن الله لايزال يسمح للأدوية أن تؤدى عملها .

كان لابد من هذه المقدمة . ليعلم الحكام . أننى فرغت من الدنيا . فلم يعد لى مطمع فيها . ولم أعد أرى فيها إلا ماقاله القرآن من أنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . فما الدنيا إلا متاع الغرور وسوف يظل الليل والنهار يتعاقبان . وأناس تولد وأناس تموت ودول تقوم وأخرى تزول . ستظل لايعرف الناس فيها ماذا يحبون وماذا يكرهون . فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وأقوى شاهد على ذلك الحرب والقتال . فما أشد كراهية الناس لهما وقد يكون فيهما النفع والخير . إن ألمانيا اليوم بشقيها هى

أغنى وأنجح بلاد الأرض مع أنها بالأمس وبالأمس فقط سويت بالتراب . وهذه اليابان أعجوبة الدنيا . هى التى جعلتها القنابل الذرية تركع على قدميها . ومالنا نذهب بعيدًا فقناة السويس ومدن القناة هى التى كانت منذ سنوات بسبب إسرائيل خرابا يبابا . فأصبحت اليوم هى شريان الحياة لمصر كلها وموضع عزها وفخارها .

ولقد عاشت مصر فى الخمسين سنة الماضية . خلال حربين عالميتين . دارت الثانية منهما وحسمت على أرضها . كما اشتركت بنفسها فى أربعة حروب فلم يتأثر الناس كما يتأثرون اليوم ولم يشقوا كما يشقون اليوم . حيث يتحدث لهم عن السلام الأبدى والرخاء الذى لم يسبقه رخاء لأننا نفتح ذراعينا لإسرائيل هذه هى الدنيا . ستظل تسير والناس تتكلم والصحف تصدر والإذاعة تذيع أن ليس فى الإمكان أبدع مما كان . هذا كله أعرفه . فلو سألنى سائل ولماذا تكتب إذن ، فأجيب بأنى أكتب لأن الله أبقى لى القدرة على الكتابة . ولأنه قال لنا « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير » ولست أعرف خيرا إلا ماعشت طول عمرى أدعو له . وما عشت حتى رأيت الأمة تعترف من خلال استفتاء عام على « مصر الفتاة » وأنها كانت خيرا .

الدكتور حلمى وإبراهيم شكرى والشباب

ولقد بدأت هذه السلسلة من المقالات بتوجيه الحديث لأخوى الكريمين حلمي مراد وإبراهيم شكرى ، ودعوتهما ليكونا معا يدا واحدة . لا لأن أى واحد منهما سوف يستفيد شخصيًا فشهرة كل منهما قد طبقت الخافقين ، وإنما مصر هى التى سوف تستفيد وتكسب قوة تيار الخير ، ولقد تفضل أخى الدكتور حلمى فكتب ما يفهم منه أنه وعى كلمتى . وزاد فى فضله فوصف ماكتبته عنه بأنه وسام وقد يكون هذا إفراط تواضع ، ولكنى أقول بغير تواضع ، إن كلامه هذا عني هو الوسام وهو العزاء فأنا أعلم من هو الدكتور حلمى اليوم وماذا أنا .

- **كلمة للشباب :**

ولقد تحدثت فى مقال ثان إلى الشباب وطالبت بأن يقوم شاب ليعمل من جديد فى صبر وأناة وعدم تعجل لبناء جيل يكون هو قائد مصر فى المستقبل ، ويعيد الصيحة من جديد .

« بلادك هى مصر والسودان لاينفصلان ولايتجزآن » .

وغايتك « أن تصبح مصر فوق الجميع تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام » .

حديثى اليوم للحكام

وأتحدث اليوم لأبرئ ذمتى إلى معاشر الحكام وإنى لأرجو أن يجدوا من الفراغ والتواضع ما يجعلهم يطالعون كلمتى .. لسنى أولا ، ولحالتى الصحية ثانيا ، ولأننى أكتب ما أكتب بدافع المحبة لهم ، وإشفاقى عليهم ، فهم فى نهاية الأمر أبناء مصر الأعزاء فهم إما إخوة أشقاء جهاد أو أبناء أعزاء . فليس بيننا وبين جيل الحكام خصومة ، بل حب ودعوة للتوفيق والنجاح .

إحسان الأمس
لايغنى عن موقف اليوم

وأول ما أقوله للسادة الحكام بعد أن أصبح الكثيرون منهم هم نجوم ٦ أكتوبر . أن لايعتمدوا كثيرا على نجاح الأمس . بحيث يهدمون سر نجاحهم ، ثم يتصورون أنهم سيظلون كما كانوا موضع رضاء الشعب إن قمة جيل الحكام ممن استحقوا ثناء مصر والعالم الإسلامى بل والعالم كله بمقدار ما حطموا كبرياء إسرائيل وغطرستها وروحها العدوانية الشريرة . بهذا وبهذا فقط استحقوا إكبارنا وشكرنا بل وتمجيدنا فهذا نائب رئيس الجمهورية على سبيل المثال ، كان هو بطل سلاح الطيران الذى قطع ذراع إسرائيل الطويلة وحطم أسطورتها ووزير الخارجية كان بطل المدفعية التى

حطمت حصون إسرائيل ودكتها دكا ، ووزير الدفاع ومحافظ سيناء الجنوبية « عزيز غالى » وغيرهم وغيرهم من جيل الحكام ، كانوا هم الذين قلموا أظافر إسرائيل وأمريكا معا ، فإذا كانوا سيتصورون أنهم سيظلون يحتفظون بمكانتهم وهم يدفعون مصر إلى محالفة إسرائيل ومعاداة العرب والمسلمين من أجلها ، فهم جد واهمين .

إن إسرائيل هى إسرائيل ، لاتعرف قانونا ، أو أعرافا دولية ، إنها دولة على ماقال رئيسها تتكلم ثمانين لغة ، واللغة الوحيدة التى يتكلمون بها جميعا هى لغة المدفع وتقتيل النساء والأطفال وتخريب البيوت بحجة أمن إسرائيل والله يعلم أن هذه الأساليب الوحشية هى التى تدرك أمن إسرائيل فجيل الحكام يخطئ كل الخطأ وما أخوفنى عليه كلما تمادى فيما يفعل اليوم مع إسرائيل ، بأن يفتح لها باب الاتجار مع مصر على مصارعه ، فيقدم لها طوق النجاة فى الوقت الذى أوشكت فيه على الغرق .

إن إسرائيل ما كانت لتجرؤ على ضم القدس وبناء المستعمرات فى الأراضى العربية بالعشرات ، وضم جنوب لبنان وتدمير قراه ، لولا هذا الحلف الجديد الذى تحاول مصر أن تعقده معها ، وما أسخف مانطلقه من تعبيرات وتصريحات عن عدم مشروعية هذا الشىء أو ذاك ، فكذلك يقول من أنشأوا إسرائيل ويرعوها وأعنى بهم الإنجليز والأمريكان ، وما كان لمصر أن تنحدر إلى هذا المستوى

ولايظن جيل الحكام ، أنهم وهم من الجيش ، فسوف يظل الجيش يرعاهم ، إنهم يبتعدون بسرعة عن سر تكريمهم .

الصفوة وليس الكثرة

وثمة قضية أخرى يقع فيها جيل الحكام ولايجدون من يلفت نظرهم إليها ألا وهى اعتمادهم على الكثرة الذين يصفقون لكل ناعق ويحتفون بكل صاحب منصب ، وذلك فى الوقت الذى يزدرون فيه أصحاب الرأى ، بمقولة أنهم الصفوة ، أو المثقفين ، أو الأفندية ، وكل ذلك قلب للأوضاع ، فهؤلاء فقط ، هم الذين يجب أن يستمع لهم ، فهم وحدهم المؤهلون لمعرفة الخطأ من الصواب والغى من الرشد ، وجيل الحكام معذور إذ يكرر هذا فهم جميعا صغار فى السن ولم يشهدوا عهد كرومر كبير الاستعمار ، عندما كان يقول إن المثقفين والمتعلمين لايعنونه فى قليل أو كثير فهو إنما يعمل لخير ورفاهية « أصحاب الجلاليب الزرقاء » ويعنى بهم الفلاحين والعمال ، وذلك ردا على مطالبة المتعلمين وعلى رأسهم مصطفى كامل ، بالجلاء .

فالتشدق بالعمل من أجل الجبهة العريضة من الشعب وإهمال مايطالب به المتعلمون والمثقفون ، بمقولة أن هذه صفوة حاقدة أو طامعة فهى لغة الاستعمار وقهر الشعوب والله تعالى يقول « هل

يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » وهو يقول فى مكان آخر « إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك » .

فالمسألة ليست مسألة كثرة ، أو قلة ، وإنما مسألة صواب أو خطأ ، ولايعرف التفريق بينهما إلا من كان مؤهلا لذلك بالعلم والخبرة . ومن هنا كان النظام الإسلامى . يقوم على التشاور . ليس بين « الجماهير العريضة » ولكن بين أصحاب « الحل والعقد » وهم أصحاب « العلم والخبرة والتجارب » .

عين الحكام
لاتقع إلا على الإنجازات

ثمة خطيئة يقع فيها الحكام . وهى أن تقع أبصارهم على « الإنجازات » فيستعظمون مايقومون به ويستبد بهم الغضب أن لاتقف المعارضة طويلا أمام ما أنجز . مع أن ذلك وضع طبيعى جدًّا . فما أنجز فقد أنجز بفضل من قاموا بإنجاز العمل . ولم يمر وقت على هذا البلد لم يكن فيه كشف « الإنجاز » هائلا . حتى فى عهد الإنجليز . فى عهد كرومر بنيت السدود الجبارة على النيل وبنى خزان أسوان الذى كان أعجوبة الدنيا فى زمانه . ومع ذلك فلم تقم الصفوة من الوطنيين شأنا لذلك .

فالحاكم أى حاكم . لايجب أن ينظر لما أنجز أو لمن استفاد .

وإنما يركز جهوده دائما على مالم ينجز وعلى من أضير . وكل من فى مصر اليوم مضرور . حتى الذين أصابهم حمى وسعر جمع الأموال فهم لايحسون بالاستقرار والطمأنينة التى يولدها الرضا والقناعة . إن عمر بن الخطاب فى عام المجاعة . لم يحدث الناس عن جيوش المسلمين التى فتحت عالم هذا الزمان . ولكنه آلى على نفسه أن يشاطر الناس ماهم فيه من ضيق حتى تأثر لون جلده من طهو طعامه بالزيت وثمة ملاحظة أسوقها لجيل الحكام . إن جماهير الشعوب تقدر المواقف تماما فهى لاتطالب حكامها فضلا عن أن تحاسبهم أنهم لم يقوموا بالمعجزات . ولكنها لاتغفر لهم أبدا عدم مشاطرتهم إياها فى مصاعبهم وأزماتهم .

إن الخومينى على الرغم من كل الأخطاء التى تردت فيها الثورة الإيرانية من مذابح وفرقة وانقسامات . سيظل محل تقدير الشعب الإيرانى . بل العالم كله . لأنه ظل حيث هو يجلس على الأرض ويرتدى ملابسه التى اعتادها . وليس له إلا خلوته ، هذا هو سلاح الحاكم أى حاكم . أن يشاطر الناس ماهم فيه . وأن يزداد تواضعا كلما رفعه الله .

ما طار طير وارتفع

وآخر ما أقوله لهذا الجيل الجديد من الحكام . أن أقص عليهم

بعض تجاربي وذكرياتى . من خارج مصر ثم من مصر ذاتها . فمن خارج مصر رأينا موسوليني الذى أفرخ هتلر . كان أى منهما يتكلم فترتجف الدنيا والحديث فى مدى ما وصلا إليه من العظمة يطول . ثم جاء الوقت الذى كانت فيه نهايتهما . مما لايستحب الحديث فيه . ودفع كل من كان حولها . الثمن . وثمة إنسان آخر يعرفه المصريون كل المعرفة . وأعنى به شاه إيران . ومرة أخرى أتعفف عن الحديث إلى أين كان ووصل وإلى أين صار . أما من كانوا حوله ومعه . فليكن الله فى عونهم .

ماذا جرى فى مصر

ولندع حديث ماجرى فى خارج مصر . لنتحدث عما عاصرنا . ولن أتكلم عن أول ماعاصرت . ولكن عن آخر ماعاصرت وهو الملك فاروق . لقد جاء وقت أصبح فيه كل شيء فى مصر . وأصبحت الكلمة منه ترفع وتخفض . وتعز وتذل وتوهم هو أن مصر أصبحت ضيعته يتصرف فيها وفق هواه . وفى عشية وضحاها . غادر مصر مطرودًا ولم يرفع يدا واحدة بالمقاومة لأن الأمريكان خذلوه كما فعلوا مع شاه إيران . وكما يفعلون بأى رجل يتصورون أنه استنفد أغراضه . وأن أى وجه جديد قد يكون أصلح لهم .

أين رجال عبد الناصر ؟

ولنصل إلى عهد الثورة ، أين هم رجال عبد الناصر الذين كانوا يومًا ملء السمع والبصر ، وأعمالهم وأقوالهم تنفذ كأنها القضاء والقدر ، أين على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف .. الخ .

ولست أذكر هذه الأسماء شماتة ، فالدنيا علمتنى أن الشماتة جهل ، ولكنى أذكرهم لأنبه الغافلين ، أن لا تغرهم أحداث الساعة وماهم فيه من سلطان فإذا تفضل جيل الحكام وتواضعوا وسألونى ، إذن ما هو الشيء الذى ينفع فأقول إنه لا ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم ، وللقلب السليم علامة وأمارات أظهرها أن يمتلئ القلب بالحب للناس ، وأن يحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسب .

أما دليل العمل فقد قررته الحكمة المأثورة « من فات قديمه تاه » والقول المأثور ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع . فليتحل جيل الحكام بالتواضع وليضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى .. « يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

وآخر ما أختم به هذه المقالة هو أن أذكر أبنائى وإخوانى من جيل الحكام أننى كتبت ما كتبت بدافع الحب لهم فإذا كان يحق

لمصرى عاش طول عمره من أجل مصر ولم يملك سلطة من أى نوع كان ، أن يعتبر كل من فى مصر ابنًا له أو أخًا ، فهذا الشخص هو العبد الفقير المشلول والذى يدعو الله أن يكون كل من فى مصر فى صحة وعافية وتوفيق لعمل الخير ، والله على ما أقول شهيد .

إسرائيل الصهيونية كالسرطان
لا علاج له إلا بالاستئصال

لابد لى قبل أن أدخل فى موضوع مقالى من أن أسوق ملاحظتين :

الأولى : أننى ما كنت لأسمح لنفسى بكتابة هذا المقال لولا أننى دفعت ثمنه مقدما عندما ذهبت إلى سيناء وتكلمت إلى إسرائيل من مطار «المليز» وقد لا يعرف الكثيرون ، ما يعنيه ذلك . وهو يعنى باختصار أننى الرجل المشلول العاجز عن كل شىء (ماعدا اليد اليمنى لتكتب) قد قمت بهذه الرحلة .

وقد لا يعنى العجز الكثير ، بقدر ما تعنيه حالتى العامة فأنا أضحك وأبكى وأرتجف لدى أدنى مؤثر ، فضلا عن أن «لعابى» فى حالة سيلان دائم مما يجعل حالتى ، بحيث يتقزز منها الكثيرون . وخلاصة ذلك أننى عندما أعرض نفسى للأنظار وأصعد سيارة فطائرة وأهبط منها فأنا أبذل الكثير من ذات نفسى ، وقد فعلت ذلك ليكون بوسعى أن أكتب مثل هذا المقال بضمير مطمئن .

الملاحظة الثانية : فهى أننى لا أكره اليهود ولا أدعو لكراهيتهم . لمجرد كونهم يهودا . فمعاذ الله أن أرتكب هذه الجريمة ، والتى نتركها لأوربا وأمريكا وقد أخذت أوربا دورها فى هذا المضمار أيام هتلر . وسيأتى الدور على أمريكا ، لتفعل باليهود مثلما فعل هتلر ولنفس الأسباب فأنا لا أكره اليهود لمحض كونهم يهودا ، ولعلى أكون أول مصرى قال :

تطهر وصل لربك وأم المسجد يوم الجمعة إن كنت مسلما . والكنيسة يوم الأحد إن كنت مسيحيّا والمعبد يوم السبت إن كنت يهوديّا .

وقد حاول الكثيرون منذ نصف قرن «ولم تكن إسرائيل قد أنشئت» أن يحملونى على حذف عبارة «ويوم السبت إن كنت يهوديًّا» ولكننى رفضت ذلك بكل عزم وشدة .

وعندما شرع هتلر فى ألمانيا ، ومن بعده موسولينى فى إيطاليا . يضطهدان اليهود . نددت بهما وأظهرت ما فى عملهما من ظلم إنسانى .

فأنا لا أكره اليهود مهما حاول الصهيونيون فى طول الدنيا وعرضها ، أن يقولوا غير ذلك .

وإنما أنا عدو الصهيونية ، كما تجسدها ، إسرائيل . وما

الصهيونية إلا وليدة الاستعمار الأوربي ذلك الاستعمار البغيض البربرى الذى قام على وجوب سيادة الرجل الأبيض الأوربي فهو وحده الناس وبقية العالم قد وجدوا لخدمته ، وليكونوا سعداء بسيادته عليهم .

ففى مستهل القرن التاسع عشر ، وهو الوقت الذى كونت فيه أوربا فلسفتها الاستعمارية تأسست الصهيونية على يد هرتزل ، وتصور الرجل «كما تتصور إسرائيل اليوم» أن اليهود ظلموا ، وأن الآخرين هم الذين شتتوهم ، وأنه يجب أن يكون لهم وطن قومى ، متجاهلا إن لم يحدث على مر التاريخ ، أن أجبر شعب على مغادرة وطنه ، وأن اليهود ، إذا كانوا قد تفرقوا بين الشعوب ، فذلك لخيرهم ، لأنهم ما تجمعوا فى صعيد واحد إلا وجلبوا على رءوسهم الكوارث كذلك كانوا دائما قبل أكثر من خمسة عشر قرنا ولم يبق عليهم كيهود إلا تفرقهم فى الأمم .

تجاهل هرتزل هذه الحقيقة ، ودعا من جديد لتجمع اليهود فى وطن قومى وقد لا يعرف الكثيرون ، أن أعداء فكرة الوطن القومى لليهود هم اليهود أنفسهم ، إدراكا منهم ، أن معنى إيجاد وطن قومى لهم ، أن يصبحوا غرباء فى البلاد التى يعيشون فيها الآن حيث وصلوا إلى منتهى ما يطمع فيه طامع من غنى ونفوذ ، وأنا نفسى

قابلت واحدًا من هؤلاء فى أمريكا ، كرس حياته وماله لمحاربة الصهيونية .

الاستعمار خالق إسرائيل

وعلى ذلك فقد ظلت فكرة هرتزل فى إيجاد وطن قومى لليهود ، فكرة تبدو سخيفة فى أعين اليهود قبل غيرهم ، ولكى تظهر قوة الإسلام ، حتى بعد أن ضعف المسلمون ، فقد كانت تركيا فى القرن التاسع عشر ، تلقب بالرجل المريض وجاء وقت بلغ فيه الفساد فى قصر يالدز «قصر السلطان» منتهاه ، ومع ذلك فلم يستطع الصهاينة أن يحصلوا بكل ملايينهم للسماح لليهود بتملك الأرض فى فلسطين .

وليس إلا عندما راحت الأمبراطورية البريطانية تخطط للسيطرة على العرب أن وجد الصهاينة ، عونا من انجلترا فصدر تصريح «بلفور» وكان يهوديًا يتولى وزارة خارجية بريطانيا ، وفى هذا التصريح تعد انجلترا الصهاينة ، أن تعمل «بكل قوتها» على أن تخلق لهم «وطنا قوميًا» على أرض فلسطين ، وقد اعتاد الصهاينة أن يروجوا أنهم حصلوا على هذا التصريح فى مقابل «خدمات كيميائية ، كبعض الاختراعات» قدمها من يسمي «حاييم وايزمان» لانجلترا ، وهو سخف وهراء يراد به تغطية السبب الحقيقى ، وهو

أن يدفع اليهود أمريكا للاشتراك فى الحرب «وقد كان اليهود كما هم اليوم المسيطرين على أمريكا» وهكذا صدر تصريح بلفور «١٩١٧» وبدأ اليهود يتدفقون من أرجاء الإمبراطورية الإنجليزية ليستقروا فى فلسطين تحت حماية الحراب البريطانية، وأن يعمل الإنجليز بكل سلطانهم الاستعمارى على توطيد الصهاينة فى فلسطين وحتى نيف وربع قرن ، لم يجرؤ الإنجليز أنفسهم ، أو بالأحرى لم يجدوا مصلحة لهم فى إنشاء دولة يهودية ، ثقة منهم أن هذه الدولة لن تكون فى خدمتهم ، فقاوموا فكرة إنشاء الدولة ، ولكن بعد فوات الوقت ، وقد لا يعلم الكثيرون أن جمع التبرعات فى أمريكا ، وصل إلى حد نشر إعلانات فى بعض الصحف الأمريكية تقول : «ادفع دولارا واحدا تقتل جنديا إنجليزيا» ونجح الصهاينة بمساعدة أمريكا فى خاتمة المطاف بإنشاء دولة إسرائيل .

تطوع الشباب المصرى

ومنذ اللحظة الأولى ، أدرك المصريون بغريزتهم خطورة زرع هذه الدولة فى هذه المنطقة فتطوعنا نحن الشباب للسفر إلى فلسطين ، والحرب ضد الصهاينة .

ولم أعد من فلسطين إلا بعد أن اقتنعت بأن الفلسطينيين أقدر منا على مواجهة الصهاينة ، وليس ينقصهم العزم والتصميم ، وإنما

تنقصهم الإمكانيات . فعلى العرب وفى مقدمتهم مصر أن يمدوهم بهذه الإمكانيات فيتحقق لهم النصر .

ولست بصدد سرد تاريخ لما حدث ، والمهم أن دولة إسرائيل قامت .. أما نحن فقد كانت نظريتنا ، أنها ما وجدت إلا لتسيطر علينا ولا سبيل لها لتحقيق ذلك ، إلا ببث الفتنة ، وإيقاع الفرقة ليس فقط بين الدول العربية وبعضها - بل وفى داخل الوطن العربى الواحد «كما هو حادث هذه الأيام» ومن هنا نادينا وعملنا على هدم دولة إسرائيل أما الإسرائيليون فقد ملأوا الدنيا ، بالادعاء أنهم يريدون أن يعيشوا فى أمن وسلام وأنهم يريدون خير جيرانهم - ويسعون وراء أخوتهم ومحبتهم .

فانظر ماذا فعل هؤلاء الذين يسعون خلف محبتنا ولا يريدون إلا خيرنا .

فى سنة ١٩٥٦ تآمروا مع انجلترا وفرنسا على غزونا ، فاحتلوا شبه جزيرة سيناء ، ليمكنوا الدولتين الأخريين من فرض مشيئتيهما على مصر ، وفى عام ١٩٦٧ وكانوا قد استعدوا بمعاونة أمريكا لحرب مصر ، فوجهوا إلى مصر ضربة غادرة ، ووصلوا هذه المرة إلى قناة السويس فأغلقوها وأعلنوا أنهم لن يسمحوا بإعادة فتحها ، إلا بعد أن يضمنوا أن سيكون لهم نصف عائداتها .

وكل هذا شيء فوق العداء والكراهية أنه فعل أقوام يريدون أن يذلوا جيرانهم بأى ثمن من الأثمان ، ليحملوهم على الخضوع لسيادتهم ، ولكنهم ظلوا يملأون الدنيا ضجيجا ، إنهم لا يفعلون ذلك إلا لأننا نرفض مخاطبتهم ، والجلوس معهم على مائدة واحدة ، وأن لو فعلنا لما وجدنا منهم إلا كل خير ومودة ، فهم لا يريدون إلا أن يعيشوا فى أمن وسلام وتعاون مع جيرانهم .

وكان من العته والسفه أن لا نجرب ذلك ، ولكن كان يحول دون ذلك ، كوننا كنا منهزمين دائما ، فلما أن كان نصرنا التاريخى الساحق فى ٦ أكتوبر ، أصبح من المستطاع دون أن تمس كرامتنا ، أن نجرب أصحيح تريد إسرائيل العيش فى أمن وسلام متعاونة مع جيرانها ، ومن هنا أيدت بكل قوة مبادرة السلام ، واتفاقيتى «كامب ديفيد» .

فوضح قبل انقضاء عام واحد أن إسرائيل لا تريد السلام مع جيرانها ، وإنما تريد خضوعا مطلقا لمشيئتها ، واستسلاما مطلقا لتنفيذ خططها ، فما دامت إسرائيل تقول إن القدس عاصمتها فيجب أن نسلم بذلك ، ومادامت إسرائيل تقول إن الضفة وغزة هى أرض إسرائيل فيجب أن نقول سمعنا وأطعنا ، وعلى الفلسطينيين ، أن يغادروا أراضيهم وبيوتهم ويتشردوا فى العالمين ، ليكون باستطاعة إسرائيل أن تسكن اليهود الذين سوف تستجلبهم

من بلادهم ولتقل إسرائيل هذا القول ، حتى لو عارضتهم الدنيا كلها ، حتى لو عارضتهم أمريكا ولية نعمتهم ، حتى لو عارضها كثير من اليهود داخل إسرائيل نفسها «فبيجين» يعرف أنهم يخالفونه فى التوقيت ، وليس فى الهدف ، فهدف كل من فى إسرائيل هو تحقيق أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات .

يعرف بيجين أن كل يهودى فى إسرائيل يقره على ادعائه أن الضفة وغزة هى «أرض محررة وليست محتلة» وبيجين إن لم يمت اليوم فسوف يكون فى المعارضة غدا ، وهذا هو سر «الهستريا» فى هذه التصريحات المتلاحقة الاستفزازية ، فالرجل يعمل لغده عندما يصبح فى المعارضة ويعمل لتخليد اسمه إن هو مات بين الصهاينة باعتباره الرجل المتوحش الذى أخاف العرب فى شبابه ببقر بطون الحبالى وعمل على رفع الظلم الذى وقع على اليهود ألفى سنة .

مرض السرطان

وبعد لقد قدّمت أوربا وأمريكا للدنيا فيما قدمت مرضا جديدا يدعى السرطان وهو ورم خبيث يحل بجزء من الجسم فإذا لم يعالج انتشر فى الجسم كله حتى ينتهى بإهلاكه .

وقد جربوا فى علاج السرطان كل شىء بغير جدوى وانتهوا إلى أنه لا علاج للسرطان إلا باستئصاله عن طريق عملية جراحية وهذا

هو علاج إسرائيل بعد مختلف التجارب فلا علاج لها إلا بالاستئصال . أى المحو من الخريطة وهذا لا يعنى قتل اليهود أو رميهم فى البحر . وإنما معناه القضاء على هذا الكيان الزائف من مخلفات الاستعمار والذى يدعى «دولة إسرائيل» والله أكبر ويحيا الحق والعدل .

إسرائيـل تستفزنـا جميعًـا ..
ولن نسمح لها بالمضى فى تحدينا

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان للناس وزعه وأذاعه أحمد حسين فى منطقة الممرات بسيناء على الصحف ووكالات الأنباء يوم ١٩٨٠/٢/٢٨م

جئت إلى هذا المكان رغم حالتى الصحية من العجز والشلل الكلى ليكون للقول الذى دفع ثمنًا له كل هذه الآلام أثرًا أعمق فى النفوس .

لقد حضرت لأقول كلمتين وجدت من واجبى مهما كانت ظروفى وفى هذا المكان بالذات ..

أما الكلمة الأولى :

فتهنئتى لكل من له يد أو جهد قل أوكثر لكى يكون بقدرتنا أن نقف هذا الموقف وإذا كان الذهن يتجه أول ما يتجه إلى حرب أكتوبر أولاً : ثم إلى مبادرة السلام ثانيًا فلا يجب أن ننسى حرب الاستنزاف وما تجلى فيها من بطولات وتضحيات وما أكثر غبطتى أن

يكون لأسرتى الخاصة نصيب فى هذه التضحيات ، حيث استشهد زوج ابنتى ووالد حفيدى نسرين وشريف الرائد طيار/سامح مرعى عبد الرازق فحرب الاستنزاف وما بذل فيها من جهد وتضحيات وما كشفت فيه عن معدننا ومعدن اليهود كانت هى الإرهاص وهى الشهيد لنصر أكتوبر فلشهدائنا وجنودنا وضباطنا من أصغر صغير حتى القائد الأعلى للجيش الذى لولا إصداره القرار لما كان هذا الذى كان لهؤلاء جميعًا الذين عملوا للسلم مثل ما عملوا للحرب .

أوجه تهنئتى وشكرى الذى هو شكر ضمير مصر وهذه هى كلمتى الأولى .

أما الكلمة الثانية فهى لإسرائيل :

وأنا أعلم أن لا جدوى من مخاطبة إسرائيل ومع ذلك فالإعذار والإنذار واجب يقول الله سبحانه وتعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » فدل ذلك على وجوب إعذار الحق للباطل أولاً .

ولقد عشت الإمبراطورية البريطانية فى أوج صلفها وكبريائها وبالتالى غرورها وإيمانها بقوتها وأنها تفعل ببوارجها ودباباتها ما تشاء ولم يكن لنا ما نواجه به القوة الغاشمة سوى إيماننا بحقنا ، والكلمة نسوقها لتعبر عن الحق ، واليوم زالت الإمبراطورية البريطانية وبقى حقنا عاليًا فى الكرامة والاستقلال والحرية .

هتلر واليهود :

واليهود يعرفون صدق هذه القضية ، أن لا ينفع الباطل قوة غاشمة ، وأسلحة مدمرة ، وانتصارات وقتية ، وقد فعل بهم هتلر الأفاعيل ، وأحمد الله أن كنت واحدًا ممن نددوا باضطهاد هتلر لليهود وحذرته من عاقبة الظلم والطغيان ونحن نعلم اليوم مدى ما وصل إليه هتلر من قوة كاسحة وكيف كانت الدول تسحق سحقًا تحت نعال جيوشه فأين هتلر اليوم وكيف كان مصيره ؟ ..

هذا أمر قد نسبه اليهود إلى حد أن أصبحوا يقلدون هتلر ويتحدثون بلسانه ويسيرون سيرته وها أنا جئت إلى هنا لأحذرهم كما حذرته ولهم أن يسمعوا ، أو لا يسمعوا .

الصفوة من الناس :

لقد كان هتلر يتحدث عن الدم الآرى والعنصر الآرى باعتباره صانع الحضارة وأرقى الشعوب وأنتم تتحدثون عن أنفسكم كعنصر يهودى ممتاز باعتباركم صفوة الخلق ومستودع العبقرية وأسس الحضارة .

وتحدث هتلر عن المجال الحيوى لألمانيا واعتبر أن من حقه أن يتوسع ما شاء وأن يستولى على أراضى جيرانه كما يشاء . وعلى هؤلاء

الجيران أن يكونوا سعداء فى ظل احتلاله لأنه سيظلهم بنعيم الحضارة .

وهذا عين ما يفعله اليهود اليوم فى إسرائيل فكل ما حولهم من شعوب ودول فهو ملك يمينهم بنص التوراة وعلى الشعوب أن تتمنى وتسعد بالاحتلال اليهودى .

حقيقة الحال فى إسرائيل :

وكل ما يتوق له البشر فى كل زمان هو أن يحكموا بالعدل فهل عرفت إسرائيل العدل يومًا واحدًا منذ قيامها ، ولن أتحدث عما فعلته بالعرب فى الحرب أو فى السلم وإنما أتحدث عن اليهود رعاياها الممتازين فهل عدلت بينهم ، أولاً ينقسمون إلى قسمين شرقيين وغربيين يشقى الأوائل ، ليسعد الأواخر ويزداد الشرقيون فقرًا ومعاناة ، ليزداد الغربيون ثروة ورفاهية ، لذات الحجة التى قسم إليها هتلر الشعوب فجعل بعضهم قد خلق للعبودية ـ والبعض للسيادة .

امتلاك القنبلة الذرية :

وحيث يعيش أكثر من ثلث السكان فى إسرائيل فى فقر ومسغبة تعمل إسرائيل على إنتاج القنبلة الذرية ، وتكديسها وينفقون فى

سبيل ذلك الملايين ولن يصل بهم ذلك إلى شيء ، فالقنبلة الذرية لا تزيد عن أن تخرب وتدمر إلى أوسع مدى ولكنها لن تبنى بيوتًا فى إسرائيل لمن لا بيوت لهم ومن يعيشون فى بيوت الصفيح ، وهى لا يمكن أن تزرع الحب فى قلوب جيرانهم ، فلا يعنى إنتاج القنبلة الذرية فى إسرائيل إلا أنها تؤمن بسياسة القوة والبطش ، وسحقها لكل من يعترض مشيئتها ، وتلك هى قضية هتلر . وقد فصلت فيها الأيام والتاريخ .

انسحابها من أجزاء من مصر :

وأريد أن أقول لإسرائيل باسم ضمير مصر أن لا تتصور أبدًا أن انسحابها من بعض الأراضى المصرية يعطيها الحق فى شيء فضلا عن أن يحسن صورتها .

إنه لا يعطيها الحق فى شيء ، إلا بمقدار حق لص المواشى فى بلادنا ، عندما يعيد بعض المواشى المسروقة . ويطلب فى مقابل ذلك الفدية ، فلتكف إسرائيل عن تصوراتها وقد انسحبت من بعض أجزاء سيناء . فقد أعطتنا شيئًا ، بل هى فى نظرنا لا تزال معتدية وسارقة لأرضنا بالإكراه ما بقى شبر من سيناء يرزح تحت الاحتلال الإسرائيلى .

ولم يحسن صورتها :

ولا يتصور الإسرائيليون أن صورتهم قد تحسنت قيد شعرة من إجراء هذا الانسحاب الذى أكرههم نصر رمضان عليه .

فالخطط الصهيونية أصبحت من الجلاء والوضوح بحيث يستوعبها الأطفال وإن أنس فلست أنسى عندما كان يلخص الصهيونيون منتهى آمالهم فى أن يدفنوا فى أرض فلسطين فلما منحهم الاستعمار دولة أبوا إلا أن يوسعوها فى سائر الاتجاهات من النيل حتى الفرات وليس ما يمنع إسرائيل من أن تقوم ببعض الانسحابات التكتيكية ، لتعود لاحتلالها بعد أن تستوعب وتهضم ما ابتلعته حتى الآن ، وليس أدل على ذلك من المستر بيجين رئيس عصابة أرجون زفاى ليومى الذى بقر بطون الحبالى . وفتك بالنساء والأطفال باعتباره من غلاة الصهيونيين الذين يبنون دولة صهيون من النيل إلى الفرات هو الذى يشرف بنفسه على الانسحاب من مصر ذلك أنه يتصور بكل حماقة وبله أنه يجب أن يفرغ أولاً من التهام الضفة الغربية وأن يستعمرها ويوطد أركانه فيها ، قبل أن يتفرغ لغيرها ولو كان بيجين رجل سلام حقًّا أو أنه يعرف الحق أو العدل عن قرب أو بعد لما كان هذا العمل الدائب الاستفزازى لضم الضفة الغربية لإسرائيل واعتبارها جزءًا لا يتجزأ من أرض إسرائيل لمجرد أنه أطلق عليها اسم يهودا والسامرة ، ويتحدث بيجين بكل حمق

وبلاهة ، بل وبكل قحة ، كما يتحدث سفيره الياهو إلى مصر ، أن الضفة الغربية أرض محررة وليست أرضًا محتلة . ويتصور هؤلاء الحمقى أنهم بذلك حلوا القضية وتحولوا من لصوص معتدين إلى أصحاب حق .

لماذا هذا الإسلوب ؟ :

لقد جئت إلى هنا لأتحدث لإسرائيل وحكام إسرائيل عساهم يستيقظون من غفلتهم . فإذا كان بيجين يتصور أنه قد عاد إلى شبابه عندما كان رئيس عصابة فها أنا أقول له : وإن عدتم عدنا ..

لقد كنت من أوائل الناس الذين تطوعوا للدخول إلى فلسطين لمحاربة المخططات الصهيونية ، وكان أخى إبراهيم شكرى أول من أرسل كتيبة مصطفى الوكيل بالطائرات لتحارب الصهيونية على نفقته الخاصة .

فعلت ذلك وفعله إبراهيم شكرى ومن تطوعوا لحرب الصهيونيين فى فلسطين ولم تكن إسرائيل تحتل مصر أو تحتل سوريا فضلا عن الضفة الغربية فعلنا ذلك دفاعا ليس فقط عن فلسطين أو العرب ولكن دفاعًا عن مصر والحضارة دفاعا عن الحق والعدل وكل القيم الإنسانية التى كان يستبيحها الصهيونيون وإذا كنا قد خسرنا هذه الجولة وخسرنا بعدها جولات فليس ذلك إلا لوجود الاستعمار الإنجليزى أولاً ثم الاستعمار الأمريكى ثانيا . ولكن ذلك

لن يحول الباطل إلى حق والظلم والطغيان إلى عدل وها قد جئنا إلى هنا لنورث أبناءنا وأحفادنا وكل من يجيئون بعدنا أن المعركة مستمرة . المعركة بين حقنا وباطلهم بين سماحتنا وتعصبهم . بين عدلنا وطغيانهم وهى معركة مؤكدة ومحققة فى نتيجتها . وهى النصر لنا لأن الله هو الحق وهو العدل .

كلمة لأمريكا :

وثمة كلمة أقولها لأمريكا هى أن سياستها ستبقى مضطربة . وستفقد مكانتها فى العالم يوما بعد آخر مابقيت تتبنى إسرائيل . وعليها أن تأخذ العظة من السعودية والأردن . إن العرب قد يختلفون فى كل شىء . بل هم مختلفون فعلا كانوا كذلك وسيكونون ولكنهم يتفقون على شىء واحد اتفقوا بالأمس . وسوف يتفقون دائما على أن إسرائيل هى عدوتهم الأولى وهم فى هذا لا يتجنون عليها أو يظلمونها بل هذا هو مانحاول أن نثبته لهم ليل نهار وهى تعربد فى لبنان وهى تحاول استبعاد سكان القطاع الغربى وسكان غزة . إن يكن بقدرتها أن تستأصلهم وإذ يساند الأمريكان كل هذا . بالمال والسلاح فلا يلومون إلا أنفسهم .

● القدس

أما القدس فقضية ألف مليون مسلم وإسرائيل تهذى عندما

تتصور أنها ستمحو قداسة المدينة عند المسلمين وإذا كان قد ساد أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين روح من التمرد على الدين ، بحيث سمحوا لليهود الذين لعنهم المسيح وطردهم من الهيكل أن يعودوا إلى القدس تحت حرابهم وأن يساعدوهم على تكذيب المسيح فهذا شأنهم ، أما أنا فباعتبارى مسلما ، يعرف ما يدور فى أذهان المسلمين أقول لهم إنه لايعتبر نفسه ملسما من يتصور موافقته على استقرار اليهود فى القدس وليس بعد القدس إلا المدينة المنورة ومكة . فلو استقر الصهاينة فى القدس بحجة أن كانت لهم إقامة منذ ألوف السنين لعشرات السنين ، فمن باب أولى يجب أن يملكوا المدينة المنورة التى كانوا بعض سكانها .

فلتكف إسرائيل ومن ورائها أمريكا وروسيا وكل من تصور أنهم وراءها لا حبا فيها ولكن نكاية فى الإسلام فليكفوا جميعا عن اللعب بالنار التى توشك أن تحرق أيديهم جميعا .

كلمة أخيرة :

لقد أيدنا كلنا فى مصر السلام ونحن على استعداد أن نواصل تأييدنا له شريطة أن يكون السلام المبنى على العدل وليس السلام الذى هو من قبيل التكتيكات والمناورات ، وأشهد أن الذى يجرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة من الادعاء بأنها أرض محررة وليست

محتلة أشهد أن هذا زور وبهتان . ورجس من عمل الشيطان ، وإذا استمرت عليه إسرائيل فإن هذا معناه أنها لاتريد سلاما بل هى عدوة فلتسمعها إسرائيل عالية مدوية مصر هى مصر والمسلمون هم المسلمون ولن نسمح لهم فى المضى فى هذا التحدى الذى يتحدوننا به ..

والله أكبر والله معنا ..

العــرب وإسرائيــل .. إلى متى وإلى أين ؟!
سياسة أخالفهــا وأشجبهــا

سياسة أى مجتمع داخلية وخارجية والمجتمع يسير على القدمين ويطير بالجناحين ويتنفس بالرئتين ، ومحال أن تصلح إحداهما دون الأخرى ، فإذا رأيت خللا فى إحدى الناحيتين ، فهو حتما مؤثر على الآخر ..

أرأيت انجلترا بكل جلالة قدرها ، تسعى إلى السعودية بشتى الطرق ، لتزيل ما بينهما من جفوة ، ولم يقل أحد إن انجلترا ستجوع وسوف تخرب إذا لم تصادق السعودية ، ولكنها أصول وقواعد السياسة الخارجية وهى أن لا تخسر صديقا لأى سبب كان !!

احذروا البخار ..

ولن أتعرض اليوم لسياستنا الداخلية فلهذا مجال آخر وعدة مقالات ، ولكنى سأقصر حديثى اليوم على سياستنا نحو الدول العربية ، بعد أن تحجرت هذه السياسة وتجمدت ، وما يلوح على

الأفق من أنه يراد لها الاستمرار ولكنى قبل أن أخوض فى هذا البحث أريد أن أذكر بصفتى مؤرخا من ناحية ، وبصفتى قد عايشت هذا الشعب أكثر من سبعين عاما وأصبحت أدرك طبيعته التى غابت عن أذهان من حكموه قديما وحديثا .. إن هذا الشعب أشبه ما يكون بالبخار أو الغاز ، سهل جدا أن ينضغط وأن يظل ينضغط ، ولكنه يصل دائما إلى نقطة يعقبها انفجار مخيف لا يبقى ولا يذر .. ولست أريد أن أسوق أمثلة ، فتاريخ مصر كله شاهد على ذلك ..

فليحذر من يتصورون الشعب المصرى راضيا ، إن الشعب المصرى ينضغط وينضغط ولكنه لن يظل ينضغط .. وأنا إذا كنت اليوم أتحدث عن السياسة الخارجية ، فلأنها منطقه بالحساب المجرد ، لا يمكن إلا أن يكون لها الشعب كارها بكل القيم والمقاييس ..

قطيعة هنا ووصل هناك ..

لا يمكن إلا أن يكون الشعب كارها ، لأن يسمع أن لإسرائيل فى مصر سفارة وسفيرها يلقى كل ضروب التجلة والاحترام ، بينما لا يوجد للسعودية والعراق وسوريا والمغرب سفير .. وإذا كان الشعب قد قبل ذلك نظريا وعلى الورق ، فعلى

أساس أنه وضع مؤقت ، ومؤقت جدا ، باعتباره تجربة كان لابد من خوضها ، أما أن يتصور أن هذا وضع دائم ويمكن أن يستمر إلى ما شاء الله ، فهذا المتصور جد واهم فها أنذا العجوز المشلول .. أرى نفسي مضطرا لإعلان مخالفتي لاستمرار هذه السياسة وشجبها ، وإلا كنت آثما لا أنكر ما يجب إنكاره ، وإلا كنت متنكرا لكل ماضي حيث ظللت خمسين عاما ، أدعو إلى تجميع صفوف العرب .

مصر لا يمكن أن تتنكر لدورها الإسلامى ..

وإذا كانت الحسابات المجردة تقطع بأن هذا الشعب لا يمكن أن يكون راضيا عن موقفنا من البلاد العربية ـ يؤكد ذلك ملايين العاملين فى البلاد العربية فإن الحسابات تقطع مرتين أنه لا يمكن أن يكون راضيا عن تجميد عضويتنا فى المؤتمر الإسلامى وبالتالى دورنا الرسمى بين ـ البلاد الإسلامية ـ التى تشجب بدورها أن تكون لنا علاقات طبيعية مع إسرائيل ، حيث تتعثر علاقاتنا مع العالمين العربى والإسلامى..

محال أن يكون الشعب المصرى راضيا عن ذلك ، ولو تصورنا أنه رضى فإن هذا لا يمنع أن أقول .. اللهم هذا منكر لا يرضيك وأنا له من القالين المنكرين المنددين ..

سوء أحوال العالم العربى ..
من المسئول ؟؟

استطاعت محررة إحدى الصحف أن تستدرج مسئولا مصريا كبيرا فى حديث لصحيفتها أن يسب رؤساء العرب واحدا واحدا ، وكان كلما توقف ، ذكرت له اسما يكون قد نسيه ، فيروح يكيل له السباب ، وصاحبنا لو تذكر لعلم أنه قد بنى مجده ، على أنه كان عف اللسان قد يقال إن هؤلاء الرؤساء لا يستحقون إلا ذلك لموقفهم من مواطنيهم أولا ، ولأنهم هم الذين بدأوا بالعدوان . والرد على الحجة الأولى أنه تدخل فى الشئون الداخلية لبلد صديق ، وهو ما لا يجوز بحسب منطق الأعراف الدولية .. بقيت الحجة الثانية من أنهم هم البادئون بالعدوان وقد رسم الله موقفنا فى هذه الحالة ..

ادفع بالتى هى أحسن . فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ..

نحن المسئولون

على أنه أيا كان شأن الأمة العربية من السوء هذه الأيام . فنحن المسئولون عن ذلك أولا وأخيرا .. فالخلافات بين العرب شىء قديم قدم الجاهلية . ولقد وحدتهم العقيدة الإسلامية ،

فإذا ضعفت هذه العقيدة ، عادوا إلى دائهم القديم ..

ولقد عملنا طوال نصف قرن مع العاملين ، للتقليل من خطر هذه الخلافات أمام الخطر المشترك وهو الاستعمار أولا والذى انتهى إلى صورة إسرائيل ثانيا ، وعندما كانت مصر هى واسطة عقد العرب فقد حسبوا دائما حسابها وتهيبوا فى خلافاتهم ، وفى علاقتهم مع شعوبهم ، فإذا جاء وقت لم تعد فيه مصر هى ـ واسطة العقد ـ فقد انفرط هذا العقد واختل نظامه ، فلا يليق بنا أن نقف موقف الشامت مما يجرى فى البلاد العربية ، وأن نفرك يدنا سرورا لما يحدث ، ونقول .. انظروا إن كل دم ينزف هنا أو هناك على الساحة العربية ، هو دمنا نحن ، وكل شجار يقوم بين قطرين عربيين من شأنه أن يضعف من عزمنا ويوهن من قوتنا ، وباعتبارنا ـ واسطة العقد ـ بين البلاد العربية فهى مسئوليتنا نحن ، أو قدرنا ، كما أصبح يقال ، فيجب أن نتصدى لمعالجته ، لا أن نقف منه موقف المتفرج فضلا عن الشامت ، لقد عشنا طول حياتنا نؤلف الجماعات ، التى تذهب لهذا المكان أو ذاك لإصلاح ذات البين ، فهذه مسئوليتنا ، ولا محل للشنشنة بأن العرب هم الذين بدأوا بقطع العلاقات فعليهم أن يبدأوا هم فى إعادتها ، ونرجو أن نعلم ما هو السبيل إلى ذلك هل السبيل أن نظل نسبهم بمناسبة ، وغير مناسبة ؟؟

هذا ما قالوه .. فأين ما قلنا ؟؟

لقد فوجئنا فى الأيام الأخيرة الماضية بوسائل الإعلام تذيع علينا برقية وردت من رئيس السودان ، وهى برقية أقل ما توصف به أنها برقية رقيقة تفيض بالتحية ، ثم أذيع علينا برقية لا تقل رقة وتحية وتكريم من ملك المغرب ، والله يقول لنا .. وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها .. ولا جدال عندنا أن السيد رئيس الجمهورية قد صدع بأمر ربه ، فرد على هاتين التحيتين بما هما أهل له ، ولكن أجهزة الإعلام سكتت سكوتا مريبا ، عن قول أى شىء عن هذا الرد ، فضلا عن أن تنشر الرد بنصه ، فما معنى ذلك وما هو المقصود منه ، هل المطلوب رأب الصدع وإعادة جمع الشمل ، أم المقصود تعميق الخلافات وتوسيع الهوة ؟

الصهيونية وأمريكا وروسيا

إن المسألة ليست فى حاجة إلى كبير جهد ، فضلا عن ذكاء ، إن أعداء مصر والعرب والمسلمين يعملون جاهدين ، لإضعاف الجميع عن طريق توسيع الخلافات بينهم ، فما نحن فيه اليوم هو ذروة ما تصبو إليه الصهيونية وكل أعداء المسلمين ، فهو مخطئ أشد الخطأ من يتصور أن الشعب المصرى وهو قلب العالم

العربى والإسلامى ، سيرضى باستمرار الحالة التى نحن عليها من القطيعة الرسمية للعالم العربى والإسلامى والانفتاح على أمريكا والغرب .

تجوع الحرة .. ولا تأكل بثدييها

ما أكثر ما يحدثوننا عن العيب ، والقيم وليس هناك من يرحب بذلك كما أرحب ، فأين العيب وأين القيم ، فى أن نتهالك على الغرب بمقولة أنه يطعمنا ـ وهو أمر مشكوك فيه ـ وفى مقابل ذلك ، نتنكر لأبناء عمومتنا ونتشدق بأن إسرائيل تنفذ التزاماتها بشرف !!

إن كل الذى يجرى فى البلاد العربية لا يمكن أن يقارن بما يصيب إخواننا فى العروبة والإسلام والمصير ، الذين يرزحون تحت نير إسرائيل ..

نحن وإسرائيل ..

وآخر ما أقول لأختم مقالى ، إننى كنت واحدا ممن وافقوا على اتفاقيات كامب ديفيد ، فقد كان ذلك تجربة لابد من خوضها ، فقد كانت إسرائيل تزعم دائما ، أنها تريد السلام ، فكان لابد من تجربة ذلك ، فأما وقد أظهر اليهود أنهم كما كانوا دائما ـ أعداء

البشر ـ وأنهم لا يعبأون بالدنيا كلها خربت أو عمرت ، فإن اتفاقات كامب ديفيد تصبح ولا تساوى الحبر والورق الذى كتبت عليه ، ولا يتصور متصور أنه متى أعطى الزمام لبعض كبار رجال الجيش أن الأمور يمكن أن تسير كما سارت حتى الآن إن الجيش حقًّا وصدقا هو نبض هذه الأمة وضميرها ، وهو لا يمكن إلا أن يشعر بشعور هذا الشعب الذى ينفر وجدانه أن يكون لإسرائيل سفير فى مصر ، على حساب غياب سفراء العرب والمسلمين ..

وقد أعذر من أنذر .. والسلام على من اتبع الهدى ..

على اليهــود أن يعــدوا أنفسهم
ليكونوا رعايا لدولة فلسطين الإسلامية

حتى يطمئن السيد رئيس التحرير المسئول عن مسايرة الجماهير العربية ، التى أصبحت لا ترى مانعًا من الاعتراف بإسرائيل كدولة مستقلة قائمة بذاتها ، أقول إننى مسلم حتى النخاع . أصدع بأمر القرآن الكريم «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» ويكون السؤال «فماذا إذا لم يجنحوا إلى السلم ؟» ويرد القرآن الكريم : «قاتلوهم يعذبهم الله» .

فمقالاتى ليست سوى رد الفعل الطبيعى لموقف إسرائيل ومن يقفون خلفها ويؤيدونها . أيًّا ما كان المظهر الذى يتظاهرون به .

اتفاقيات كامب دافيد

لقد دهشنا [نحن العجائز] أن يكون مناحم بيجن هو بالذات من يسعى لعقد صلح مع مصر فعهدنا بالرجل أحد غلاة الصهاينة ، وكان فى شبابه رئيس عصابة آمنت بالعنف كأسلوب لإقامة دولة «إسرائيل» ومارست العنف بالفعل وعلى هذا الأساس

قامت إسرائيل وأصبحت دولة ، فكيف يكون هذا الرجل « داعية سلام » لقد كان هذا شيئًا غير معقول ، ومع ذلك فقد سايرناه . عملاً بالحكمة الشعبية [خليك مع الكذاب حتى باب الدار] خاصة وأن اتفاقيتي كامب دافيد [معسكر داود] كانت تتضمن انسحاب إسرائيل من بعض أراضينا ، ولما كنا جميعًا فى لهفة لذلك . فقد وافقنا على الاتفاقيتين.

أما الآن وقد أسفر بيجين . وأسفرت إسرائيل ومن هم وراءها . أن الأمر كله لم يكن بسوى مؤامرة ، أريد بها الفصل بين مصر وأخواتها العرب ، والمسلمون جسد واحد فإذا فصلت مصر [وهي الرأس] عن بقية الجسد وهم العرب والمسلمون ، فهو الموت للرأس والجسد معًا ، اليوم وقد عاد بيجين إلى موقفه القديم : «قاطع طريق» يتحدى القانون والعرف والسلام ، فليس بنافع أن تقال له كلمة محاسبة [فضلاً عن أن يسمى صديقًا] ومن هنا جئت أكتب مقالاتى ، فإذا كان بيجن ، وكانت إسرائيل كلها ، ومن يقفون وراءها يتصورون أنهم سيخدعوننا ، فهم جد واهمين ، وهم إنما يخدعون أنفسهم . وليس لهذا الموقف الذى يفيض بالقحة والتحدى ، من أن الضفة الغربية وقطاع غزة ، هى أرض محررة وليست أرضًا محتلة ، وأن القدس عاصمة إسرائيل إلى الأبد ، أقول إن قائلى هذه الأقوال

يلعبون بالنار ، وما مقالاتى هذه ، التى هى تعبير عن ضمير الأمة ، إلا رد الفعل الطبيعى .

لقد غر بيجن - كما غر القوى التى تؤيده ، أن إسرائيل قائمة بالفعل ، وهى دولة قوية ، نزعت كلمات العدل والحق فضلاً عن الرحمة من قاموسها ، وأن من ورائها الصهونية العالمية ، سيدة أوربا وأمريكا معًا ولكن فات هؤلاء ، أن التاريخ يكرر نفسه ، وقد حدث من قبل أن أوربا الصليبية ، استطاعت أن تستولى على فلسطين وبيت المقدس بالفعل وأسست فى المنطقة دولاً قوية ، كإسرائيل اليوم ، ورضخ المسلمون للأمر الواقع ، وتهادنوا مع هذه الدويلات الصليبية ، وتعاملوا وتاجروا فى سلام ، كما يروى ابن جبير . الرحالة الأندلسى عندما جاء إلى الشرق .

وكانت الأمور تسير على هذه الوتيرة ، إلى أن جاء البرنس أرناط حاكمًا « للكرك » وكان رجلاً من نوع « بيجن » متعصبًا ، يتصور كما يتصور بيجن ، أنهم أصحاب الحق فى هذه البلاد وأن المسلمين المجاورين ليسوا إلا قومًا معتدين ، ووصل به التعصب والمغالاة إلى حد أن دبر حملة للهجوم على مكة والمدينة ، وكان يقول للمسلمين الذين قرر ذبحهم «أين محمد نبيكم ليخلصكم من يدى» إلى هذا الحد بلغ الغرور والهوس الدينى بأرناط .

وكان رد الفعل قويًا وسريعًا ، فكانت معركة «حطين» ودخل صلاح الدين بيت المقدس بعد أن قتل أرناط بيديه .

هذا الموقف هو الذى يتكرر فبيجن ومن هم وراءه ، لا يقدرون رد فعل تصريحاتهم وأقوالهم وأفعالهم التى وصلت فى «رام الله» إلى حد إحراق عربات المسلمين ونهب متاجرهم [تحت حماية البوليس بطبيعة الحال] وذلك لدفعهم للفرار من بيوتهم ومتاجرهم وأموالهم ، ويصل الطغيان إلى حد أنه عندما يقول عمدة المدينة ، إنهم سيدافعون عن أنفسهم إذا تكرر هذا العمل ، اعتبر هذا القول منه جريمة ، يجب أن يطرد من البلاد من أجلها .

ولا يحتاج الإنسان إلى قوة تنبؤ ليحكم أن هذا الطغيان والباطل مصيره الحتمى إلى الزوال ، وبقى أن تفكر فيما سوف يكون عليه الحال عند زواله .

من الكلمات الوافدة علينا من أوربا وأمريكا باعتبارها رمزًا على التقدم ، حيث الدولة الدينية هى آية التخلف ، ورحنا نردد هذه الكلمة فى حماقة عجيبة ، ويعبر عنها المثقفون وقادة الرأى فى عبارة يتصورونها قمة البلاغة والفصاحة فى التعبير عن التقدم ، وهى عبارة «الدين لله أما الوطن فللجميع» وهى عبارة إن جاز أن تقال وينادى بها فى عالم مسيحى ، حيث يروى عن المسيح أنه

قال : «أعطوا لقيصر ما لقيصر وما لله لله» فهذا القول غريب كل الغرابة ، بل ومنكر فى الدين الإسلامى والذى لا يفصل بين الدين والدولة وإنما هى قواعد واحدة ، ومبادئ واحدة ، تحكم الفرد والمجتمع . تحكم الفرد فى علاقاته الخاصة وفى علاقته بالمجتمع . ونظم الإسلام كل شىء ، ابتداء من أدق التفاصيل . حتى تكوين الدولة ، وسلوكها فى الحرب والسلم ، ومن القواعد المقررة فى المجتمع الإسلامى «الدين المعاملة» و «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» و «خيركم خيركم للناس» وهكذا نقل المسلمون حكاية الفصل بين الدين والدولة ، بين الدين والتعامل فأصبحوا يحجون ويصومون ويصلون ، حتى إذا تعاملوا مع الناس غشوا وسرقوا ونهبوا ، بل وقتلوا ، باعتبار أن ذلك كله شىء والدين شىء آخر ، وهذا سر اللعنة التى أصبحت تعيش الدنيا فيها وعلى رأسها أوربا بشرقها وغربها ، وأمريكا التى هى امتداد لها ، فلو ذهبت إلى هذه البلاد لوجدتها غاصة بالكنائس . غاصة بالقساوسة والمصلين والكرادلة والبابا فوق الجميع . والطقوس على قدم وساق ، ولكنك لن ترى أثرًا لذلك فى المجتمع ، حيث المال هو المعبود الأول والجشع سمة الحياة والصراع وسحق القوى للضعيف هو أساس الحياة ، وذلك كله تطبيقًا لحكاية فصل الدين عن الدولة ، وقد امتد هذا التصور إلى العالم

الإسلامى فكانت النتيجة ما نرى من فساد وانحراف وجشع وفقدان لكل رضا وقناعة وأصبحت الحياة تتلخص فى « قطعة من اللحم » ويقاس الرقى والتقدم بمدى سمك هذه القطعة .

ومن هذا القبيل « الدولة العلمانية » لمنظمة التحرير الفلسطينية [ممثلة الفلسطينيين بلا جدال أو شبهة] تصورًا منها لاسترضاء الصهيونيين والأوربيين والأمريكان ، وضعت حلاً لقضية فلسطين : تأليف دولة علمانية يعيش فى ظلها المسلمون والمسيحيون واليهود على قدم المساواة ، وهو أمر لا يتحقق إلا فى ظل دولة إسلامية ، ولو كره الكارهون .

ولنكن صرحاء ، يقول القرآن الكريم «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى» وهذا هو الموقف الحاضر ، فكل تصور بإمكان إقناع اليهود ومن خلفهم المسيحيون فى أوربا وأمريكا ، بقيام دولة فلسطين الإسلامية وعاصمتها القدس ، هو قول أقرب إلى الهذيان منه إلى الصحة ، والقول بأننا نكسب موافقتهم بالحديث عن « العلمانية » هو إمعان للهذيان ، فقد زرعت إسرائيل خصيصًا بمعرفة أوربا وأمريكا ، لتكون شوكة فى جنب العرب والمسلمين ، أو بالأحرى سرطانًا فى الجسد العربى والإسلامى بهدف تدميره .

إن أوربا وأمريكا ، وإن تنادوا بالعلمانية فقد ظلوا على تعصبهم الممقوت ضد المسلمين ، فعندما دخل « اللورد اللنبى » قائد الجيوش الإنجليزية قال بكل تبجح وقحة : اليوم انتهت الحروب الصليبية ، أما زميله قائد الجيوش الفرنسية فقد حرص عندما دخل دمشق ، أن يقف على قبر صلاح الدين ليقول : لقد عدنا يا صلاح الدين .. فتعصب أوربا وأمريكا ضد الإسلام والمسلمين ، هو الذى أقام إسرائيل ويمدها بكل أسباب الحياة فيمدها الاتحاد السوفيتى بالرجال وأمريكا وأوربا بالمال والسلاح .

فلا حل لإسرائيل إلا بهزيمتها عسكريًّا هى ومن هم وراءها .

وليعلم اليهود أننا يوم أن ننتصر ونلغى دولتهم من الوجود ، فلن نلقى بهم إلى البحر ، وحاشانا أن نذبحهم كما فعلوا هم بنا ، بل سوف نحقن دماءهم ونعفو عن جرائمهم التى ارتكبوها بحقنا ، ومن شاء منهم أن يعود من حيث جاء يسرنا له ذلك ، ومن شاء أن يعيش فى ظل الدولة الإسلامية ، فله مالنا وعليه ما علينا ، بالحق والعدل والسلام .

وأنا لا أقول ذلك سياسة فضلاً عن أن أكون مخادعًا ، بل إن ذلك هو ما تأمرنا به تعاليم الإسلام من قرآن وسنة ، فعندما دخل الصليبيون فاتحين سارت خيولهم فى دماء المسلمين ،

وحرقوهم فى المساجد أحياء ، فلما أن دارت الدائرة عليهم ودخل صلاح الدين بيت المقدس ، لم يمس شعرة من الصليبيين فضلاً عن أموالهم ، وكان فى ذلك يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل مكة فاتحًا ، فقال لأهلها : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

فلتكن الدعوة إلى فلسطين الإسلامية فهى وحدها التى تحقق الأمن والأمان لغير المسلمين .

والله أكبر والعزة للمسلمين

الفهرس

صفحة

رقم الايداع ٨١/١٦٨٨ الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ - ٧٣٣٦ - ١٥ - ٢

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى هاتف : ٧٥٤٢١٤ برقيا : شروق القاهرة - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE